

## الفصل الثانى

### فى الأسرة

٤٨- نحن ست بنات وولدان • ووالدنا لا يعنيه من أمرنا الا ان نعمل • ونوفر له الراحة ، والنقود ، والشاى ، والدخان • ولم يتم تعليمه الثانوى من هذا العدد غيرى • وعينت مدرسة بالمدارس الابتدائية • ولنا اختان صغيرتان يعملان فى الحقل طوال اليوم ، وفى البيت ساعات من الليل • والمكك قليل لا يتجاوز الفدان • ولو كان الوالد مع صحته وقوة بدنه يعمل لتيسر الأمر • ولكنه يعتمد كلية على البنيتين فى العمل ، وعلى مرتبى القليل فى الانفاق على الجيش الصغير • واذا حضر بعض الخطاب لنا وهم أكفاء : يردهم بشدة ، حتى علم الناس منه هذا • ولو كنا نكورا لهان الأمر ، وسعينا فى الأرض • ولكننا نحن بنات ، والمجتمع الريفى لا يسمح للبنات : أن تترك أهلها ، والفرار مما تلقاه •

• ما تنسبه البنات السائلة هنا الى أبيها يتلخص فى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أنه يقدر على العمل ولا يباشره ، ويعتمد على اولاده الصغار فى الانفاق •

الأمر الثانى : أنه يستغل ضعف النساء فيسخر بناته فى العمل فى الحقل • وفى المنزل ، من أجل المعاش والرزق •

الأمر الثالث : أنه يعضل بناته ويحول دون زواجهن : استمرارا فى تسخيرهن لصالح نفسه •

وهذه الأمور الثلاثة وهى من سمات العهد الجاهلى المادى : ينفر منها الاسلام • وتنفر منها المروءة وكرامة الأب لبنات : بعضهم أو الكثيرات منهن صغيرات •

وفى تقدير هذا الأب : أن نسل الأولاد يجب أن يكون السبيل الى العيش وتحصيل الرزق • ولذلك : له من البنات ست • ولو كان يستطيع أن يزيد : لزاد العدد فى غير محدودية • وهو ينظر الى بناته على أنهن : كملك يمين له ، لم يستكملن بعد حريتهن • • ويجب أن تكن فى خدمته كسيد ، وليس كآب •

ويستغل ضعفهن كينات فيسخرهن في العمل ليلا ٠٠ ونهارا ٠ وكذلك يفعل الجاهليون والماديون : يعتدون على المرأة فيأكلون ارثها ٠ ويسلبون ما في يدها ٠ وربما يدفعون بها الى البغاء دفعا ، رغبة في المال ٠ ويشير القرآن الى هذه الصور من استغلال المرأة ٠ فيقول : « وتاكلون التراث ( أى الارث ) أكلا لما ( أى تجمعونه وتضمون بعضه الى بعض : من غير تمييز بين ما يحل منه وما لا يحل ٠ وبين ما هو للوارث الأكل ، والوارث الآخر المعتدى عليه ) » (١) ٠ كما يقول «ولا تكرهوا فتياتكم (أى اماءكم وهن من الرقيقات) على البغاء ان أردن تحصنا ( أى ان رغبين فى العفة وعدم اقتراف جريمة الزنا ) لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ( وهو تحصيل المال ) ، (٢) ٠

ويحول بينهن وبين الزواج ، ان تقدم لخطبتهن كفو من الرجال ، حرصا على استمرار استغلالهن لمصلحته الشخصية ٠ وعلى هذا النحو يفعل الجاهليون والماديون ٠ يقول الله تعالى : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ( أى قاربن على انتهاء عدتهن ) فلا تعضلوهن ( أى فلا تمنوهن ) : أن ينكحن أزواجهن (الجدد) اذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ( أى يتأثر بذلك ويطيعه من لم يكن ماديا ) ذلكم أذكى لكم وأطهر ، والله يعلم وانتم لا تعلمون » (٣) ٠ وكان صنيع الجاهليين : اذا رأوا مطلقة فى عدتها قد اتفقت مع رجل آخر يتزوجها بعد انتهاء المدة ٠ سارعوا الى مراجعتها ، منعاً لها من اتمام الزواج الجديد ٠ وقد نهى عن ذلك الاسلام ٠ لأن فيه ضررا يلحق بالمرأة ٠ وهو ضرر الامسك وهى كارهة ٠ وضرر تفويت الفرصة الجديدة عليها وهى قريبة منها ٠

فهذا الوالد أنانى مستهتر وغير مسئول يستحق - فى تقديرى - عقاب الله له ٠ فقد خلا من عواطف الأبوة ٠ والانسانية ٠ والشهامة ٠ والكرامة ٠

ولعل الله يحدث فى أمر هؤلاء البنات المعضبات ما ينقذهن من والد بقى حتى الآن فى حيوانيته ٠ وما ذلك على الله بعزيز ٠

\*\*\*

- 
- (١) الفجر : ١٩ ٠  
(٢) النور : ٣٣ ٠  
(٣) البقرة : ٢٣٢ ٠

٤٩- أنا متزوج ، ولى ولد فى التعليم وعلى وشك ان يتخرج . وحدث بينى وبين زوجتى شجار بسبب تعليم هذا الابن . فاقسمت يمينا : انه لن ينفعنى ، سواء تعلم وأتى بمال ، او لم يتعلم ولم يات بمال . فما الراى ؟

● ان السائل - وهو هنا والد لابن قارب على التخرج من الجامعة - من جملة كثيرين يستهدفون من تعليم أبنائهم : منفعة مادية تعود عليهم هم ، وبالأخص عند الحاجة أو فى سن متأخرة من عمرهم . ولذا حرصهم على تعليم أبنائهم هو حرص على تحصيل منفعة شخصية . . ودفعهم لهؤلاء الأبناء فى طريق اتمام دراستهم هو دفع للتعجيل بهذه المنفعة . . وغضبهم من أبنائهم هو بسبب أنهم يتخلفهم فى النجاح يرجئون هذه المنفعة فترة أخرى من الزمن .

ويرون فى التعليم من أجل ذلك نوعا معينا . هو تحصيل المعرفة التى تهيء للنجاح فى الامتحانات العامة . أما التربية وتكوين العادات الفاضلة . . أما الثقافة العامة . . أما الدربة على الصبر والتحمل عند الصعوبات . . أما المسئولية الفردية والشعور بها . . أما تكوين الضمير الانسانى والافادة من رقابته الذاتية على التصرفات . . أما الشخصية واستقلالها : فقلما يعنى بها هؤلاء النفعيون عن طريق تعليم أبنائهم .

ومن هنا : كثيرا ما يفجعون فى هؤلاء الأبناء ، ويرون فيهم المعقوق واضحا بعد تخرجهم والتحاقهم ببعض الوظائف العامة . وكثيرا أيضا : ما ينزعجون من فشلهم فى الحياة وتهربهم من المسئوليات فيها ، بعد ان يتخرجوا ويباشروا وظائفهم أيضا .

وقلة من الآباء هى التى تحرص على تربية أولادهم ، والتعليم المدرسى أو الجامعى جزء من هذه التربية . ولذا لا يستهدفون منفعة شخصية من وراء اتمامهم الدراسة الجامعية وشغلهم بعض الوظائف . ومن هنا يسلكون معهم مسلك الأصدقاء : فى نقل تجاربهم اليهم . . وفى وضعهم موضع المشير بالرأى فى بعض المشاكل . . وفى اسناد بعض الأعمال ذات المسئولية المحدودة اليهم . . وفى التفاهم معهم على ما ينبغى ، وما لا ينبغى من التصرفات فى كل مرحلة من مراحل تطور الانسان .

ولعل أحسن وصية تعبر عن هذه التربية : ما جاءت على لسان لقمان - وقد ميزه الله بالحكمة - الى ابنه . ان يقول له :

« يا بنى اقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على

ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور ( أى من الأمور الواجب أداؤها . . فدعاه  
الى الاتصال بالله . . والى استقامة السلوك . . والى التحمل عند المصاعب ) .

« ولا تصعر خدك للناس ( أى لا تنظر الى الناس بجانب من وجهك كما  
يفعل المتكبرون . بل كن مهذبا ومتواضعا ) ولا تمش في الأرض مرحا ( أى  
لا يكن سيرك فى الطرقات تسكما ومن غير هدف جدى فى الحياة ) ان الله  
لا يحب كل مختال فخور ( أى ان الله لا يرضى عن أصحاب الخيلاء والمتعاطمين  
على غيرهم من الناس . فيدعوه الى الأسلوب المهذب فى معاملة الناس . .  
والى أخذ الأمور فى الحياة التى يتحرك فى سبيلها الانسان : مأخذ الجد ) .

« واقصد فى مشيك ( أى كن عدلا ومتوازنا فى مشيك : فلا تدب على  
الأرض دبا . . ولا تثب أو تقفز ) واغضض من صوتك ( أى وليكن صوتك  
معتدلا ، غير منفر لسامعك ) ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ( وهنا يطلب  
اليه كذلك : أن يبتعد عن الهوج فى حركته . . وعما يزعج الآخرين من نفرة  
الصوت فى حديثه معهم ) ، ( ١ ) .

● اما ما أقسم عليه السائل - وهو ان ابنه لا ينفعه : تعلم . أم لم يتعلم -  
فيمينه لغو . لأنه لا يعلم المستقبل ولا يقدر على علمه فى لحظته التى أقسم  
فيها . اذ ربما يأتى المستقبل بخلاف ما ظن واقسم عليه الآن . واليمين اللغو هى  
من سقط الكلام . . او من الخطأ الذى لا يؤخذ عليه .

واجدر بالسائل أن يعود الى الأسلوب الهادىء فى معاملة زوجته  
وولده . . وأن يبعد الجفوة بينه الآن وبين ولده . ويضع بدلها : الصداقة  
والمشورة المتبادلة . فلعل ذلك يغير من أمر الابن شيئا لصالحه ، قبل صالح  
والده .

\*\*\*

٥٠- انا طالب بالمدرسة الثانوية الصناعية فى المصف الثالث ، ومقيد ايضا  
بالمصف الثالث بالثانوى العام ، منازل . ووالدى ميسور الحال . ولى  
أخ مرتبه فوق العشرين جنيها . وأبى ممتنع عن الانفاق على ولا يوفر لى  
وقت المذاكرة . اليس للأبناء حقوق على الآباء ؟ .

● التحاق السائل بالمدارس الثانوية الصناعية : يدل على أن مستوى

---

(١) لقمان : ١٧ - ١٩ .

نجاحه فى الشهادة الاعدادية كان أدنى من أن يتيح له دخول المدارس الثانوية .  
فهو طالب غير متفوق . وعدم تفوقه : قد يعود الى ضعف استعداده الفطرى  
لتحصيل المعرفة . وقد يرجع الى صعوبة المرحلة التى يجتازها ، وهى مرحلة  
المراهقة فى حياته . والشباب الذين يصعب عليهم اجتياز هذه المرحلة .  
يقعون تحت تأثيرات متعددة ومتضاربة . ولذا : ينقصهم تركيز الفكر .  
والسير فى خط واحد مستقيم . والنتيجة الحتمية لذلك : التخلف عن الأقران .  
وعدم استطاعة الدخول فى منافسة معهم . وأخيرا : قبولهم للوضع الهين  
أو المهين فى الحياة ، أو الهرب منها .

وتقديم السائل – من منازلهم – الى الشهادة الثانوية العامة : محاولة  
قد تكون لآحياء أمل فى نفسه . أو لتغطية نقص يشعر به بين من كانوا معه فى  
الدراسة الاعدادية من زملائه ، وهم الآن فى الثانوى ، أو فى الجامعة . ولكنه  
لا يعبر عن رغبة جديّة تدفعه الى أن يكون فى مستوى الزملاء .

● وأخ السائل – ومرتبته فوق العشرين جنيها – يقيم فى تخرجه . وفى  
وظيفته : الدليل على أن والدهما : تتوفر لديه الرغبة فى الاتفاق على تعليم  
أبنائه ، والاستمرار فى الاتفاق عليهم فى مراحلهم العديدة ، طالما هناك أمل فى  
جدهم . وتفوقهم . وهذا حقه .

وشكوى السائل اذن من والده . ومن أنه ممتنع عن الاتفاق عليه فى  
التعليم ، وأنه لا يوفر له وقت المذاكرة : ربما أسبابها تعود اليه ذاته ، وليست  
الى والده . فالوالد مهما اختلفت عواطفه نحو أبنائه : فانه فى النهاية يحرص  
عليهم جميعا ويضعهم موضع الأمل له فى حياته ، وان تفاوتوا عنده فى نسبة  
الأمل فيهم . ولهذا : لا نجد فى القرآن الكريم آية واحدة تحث الآباء على العطف  
على أبنائهم . بينما نجد فيه الآيات العديدة التى تدعوا الأبناء الى العطف على  
آبائهم والاحسان اليهم ، وبالأخص فى حالة الكبر . ذلك لأن عطف الآباء على  
الأبناء أمر فطرى لا يناعز . وقد يشكل فى الأب خطرا عليه وعلى ابنه معا ،  
إذا لم يستطع ضبط هذا العطف وأرخص له العنان : فيضعف هو فى مواجهة  
ابنه ، فى الوقت الذى ربما تقوى فيه نوازع الانحراف فى هذا الابن . وعندئذ  
تكون الكارثة : ولد مدلل غابث . ووالد ضعيف يموت تدريجيا : من القلق ،  
وخيبة الأمل .

● ولو أن والد السائل هنا كان بخيلا بماله : لما أنفق على تعليم أخيه  
المتخرج والموظف الآن . لأن البخل عادة لا تتجزأ . وفاعليتها مستمرة  
لا تنقطع . وإنما هو الأمل لدى الوالد . كان هذا الأمل قويا بالنسبة لأخ السائل

فأنفق عليه في غير شكوى منه . . وهو في نفسه ضعيف بالنسبة للسائل نفسه ،  
فقل انفاقه عليه . . أو ينفق عليه بقدر ، وليس كما يرجو السائل ، فاشتكى  
منه .

● وعلى السائل أن يعود إلى نفسه أولاً ، وي طرح هذه الأسئلة في صمت :

- ١ - هل هو مستقيم في سلوكه . . ويخشى الله فيما يتصرف ؟
  - ٢ - أم تغلب عليه بعض النزعات الانحلالية : فلا يقدر المسئولية الشخصية . .  
ولا ينظر إلى غيره من خلال يومه ؟
  - ٣ - أم هو مستضعف لآخرين معه في الدراسة يدفعون به حيث أرادوا ؟ وقد  
يدفعونه في سبيل ابتزاز ما في يد والده : إلى خصومته ، والالحاح  
عليه من أجل الحصول على مال : ينفق في عبث الشباب ، وليس في سبيل  
التعليم .
- ان الأب هنا - فيما أحس - مجنى عليه . والابن هو الجاني : بعبثه . .  
أو بغياته . . أو برفقائه .

\*\*\*

٥١ - نحن أربعة أخوة : الأول والثاني أتما تعليمهما الجامعي . وأنا وأخي  
الصغير نعمل مع الوالد في الحقل . ومع انفاق والدنا على اللذين  
تعلمنا فقد ساعدهما على الزواج . إلا يصح أن يعوضنا الوالد بمبلغ  
يوازي ما أنفقه على الكبارين ؟

● يعتبر القرآن : الأولاد نعمة ، وفي الوقت نفسه يعتبرهم فتنة ، أي  
محنة ، وبلاء ، واختباراً بالنسبة للآباء :

- ١ - فاب الأولاد قد يمنع الانفاق الخير على الآخرين عدا أولاده ، حرصاً على  
هؤلاء الأولاد .
- ٢ - وقد يعتز بهم كعصبية له ، ويطنى بهذه العصبية ويعتدى بها على من  
سواه .
- ٣ - وقد يمتنع عن أن يسهم في الجهاد بنفسه أو بعاله في سبيل الله والمصلحة  
العامة ، بسبب الميل إلى الأولاد والخشية عليهم .

٤ - وقد يميز بعضهم على بعض فى الأموال ، فيوجد بينهم العداوة والبيضاء .

واعتبرهم القرآن فتنة لأبائهم فى قول الله تعالى : « انمسا أموالكم ، وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم ( أى لا تخذعوا بالأموال وبالأولاد فتسلكوا بسببهما مسلكا منحرفا يقوم على الاعتداء والطغيان . . أو على التقصير فى شأن ما يجب أن يعمل . فالأموال والأولاد اذا كانت نعمة عظيمة فى الدنيا ، فما عند الله فى الآخرة خيرا وأعظم منها . ولا ينال انسان ما عند الله فى آخرته حتى يكون مسلكه ازاء نعمة الله فى الدنيا مسلكا معتدلا ومستقيما ، بعيدا عن الضرر والايذاء ) ، ( ١ ) .

⑤ وتمييز الأولاد : بعضهم على بعض - اذا لم يكن هناك سبب واضح للتمييز كعامة دائمة لأحدهم - يعتبر اذن صورة من صور الافتتان بالأولاد . ولذا يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالعدل فيما بينهم . ان يروى عن النعمان بن بشير قوله : « ان أباه انطلق به وهو يحمله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله : اشهد : انى قد نحلته ( أعطيت ) النعمان : كذا . . وكذا . . من مالى . فقال : اكل بنيك قد نحلته مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فأشهد على هذا غيرى . . ثم قال : أيسرك أن يكرنوا اليك فى البر سواء ( أى هل تكون فرحا ومسرورا اذا قاموا جميعا برعايتك عند الحاجة لا يتخلف واحد عن الآخر . . ولا يقصر واحد من بينهم عن الآخرين ؟ ) قال : بلى . قال : اتقوا الله ، واعدلوا فى أولادكم » .

⑥ والوالد فى هذا السؤال لم يقصد الى تمييز الولدين الكبيرين بالتعليم وأن يؤثرهما بالوضع الاجتماعى المميز الذى حصلوا عليه : عن الولدين الصغيرين . وكذلك لم يقصد الى غبن هذين الولدين الصغيرين من أولاده ، حين استصبحهما معه للعمل فى الحقل والفلاحة . ولكن هى عادة جارية فى الريف : يبقى المالك الصغير : بعضا من أبنائه للعمل فى الزراعة محافظة على التقاليد . . ويرسل البعض الآخر منهم الى المدارس لتتعلم ، رغبة فى مجاراة روح العصر . والصدفة وحدها هى التى تفرق بين الأولاد . هذا : الى اتجاه . . وذاك الى اتجاه آخر . ومن أجل ذلك : الأب غير أثم هنا فى حق الولدين الصغيرين .

---

(١) التغابن : ١٥ .

ولكن له - ربما يثاب على ذلك أيضا من الله سبحانه - أن يعوض هذين الولدين الصغيرين مما يملك من مال وأرض زراعية ، بحيث يزيل من نفسيهما : كل أثر لحقد على الأخوين الكبيرين ، وعليه كذلك .. ويحيث يشعرهما بالمساواة في الاعتبار لأخويهما الموظفين .

والأخوان الكبيران ، ان كانا عاقلين ، وغير انانيين سيساعدان والدهما على تنفيذ ذلك ، ويسران مما يفعل . فالمال عندما يضم للصفوف ، ويصفي النفوس : يكون قد استخدم استخداما حسنا . وعندما يهرق .. ويدعو الى المشحاء : يكون قد استخدم استخداما سيئا .

\*\*\*

٥٢ - أنا أب لأسرة تتكون من خمسة أفراد وبخلى ثمانية جنهات فقط ، وأولادى بالمدارس ، ومرتبى لا يكفينى ، ووالدى على قيد الحياة . فكيف أتصرف لأرضيهما بما يستحقانه من مرتبى شرعا ؟

● ان قول الله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ويذى القربى » (١) .. يجعل الانفاق على الوالدين اذا كانا بحاجة الى نفقة ، مساويا على الأقل للانفاق على الأولاد . فقد صرحت الآية بالاحسان الى الوالدين ووضعت الاحسان اليهما فى مرتبة العبادة لله وحده . والاحسان اليهما يشمل من غير شك الانفاق ، ان كان وضعهما يتطلب ذلك . أما نفقة الأولاد فهي تجب هنا ضمن من عبرت عنهم الآية : يذى القربى .

● والمسائل هنا مطالب امام الله بالانفاق على الأصل وهو الوالدان ، والفرع وهم الأولاد . ومشكلته هذه ، وهى عدم كفاية دخله للانفاق على من تجب عليه نفقته من الوالدين والأولاد ، تجد حلها فى التكافل الاجتماعى فى نظام الاسلام . فالمسائل بوضعه فى الدخل من سعيه فى سبيل الرزق يعتبر «مسكينا» .. أى ينقص دخله عن أن يفى بحاجته ، رغم جده فى سعيه ، ورغم حسن سلوكه وبعده عن العبث والمفاسد . والمسكين احد مصارف الزكاة الثمانية ، واحد مصارف الانفاق وراء الزكاة فى سبيل المصلحة العامة . والمسكين له حق فى مال الأثرياء وبيت المال ، أو الدولة عليها أداء هذا الحق له ، ان لم يباشر الثرى - وهو الذى يفيض دخله عن حاجته - الوفاء بما التزم به ، عن طريق ايمانه بالله وبدينه .

---

(١) النساء : ٢٦ .

فالتكافل الاجتماعى فى نظام الاسلام يضمن لأصحاب الدخول القليلة تغطية نفقاتهم ، وكذلك من تجب عليهم نفقته من الزوجات والأقربين ، دون أن يلومهم على عدم كفاية سعيهم وعملهم فى تغطية حاجاتهم ، ودون أن يؤنبهم كذلك على كثرة ما رزقوا من أولاد ، أو من وجود أياهم المعدمين على قيد الحياة معهم .

● ولكن يحول دون قيام التكافل الاجتماعى فى النظام الإسلامى بمهمته الآن : أن الزكاة لا تنفذ ، وأن الدخول للأفراد فى بعض نظم الحكم المعاصرة يقرب بعضها من بعض فى سد احتياجات العاملين ، فليس فيها فائض كثير يمكن أن يوجه الى احتياجات الآخرين . وقد يكون من الممكن الآن التوجه الى ادارة البر فى وزارة الأوقاف بطلب المساعدة فى تغطية نفقات المسائل ، فادارة البر هذه تشرف على حصيلة الأوقاف الزراعية والعقارية التى ضمت الى وزارتى الإصلاح الزراعى والحكم المحلى ، وهى أملاك محبوسة على ما يسمى بالبر أو الخير العام ، من ملاك تمكنت فى نفوسهم القربى الى الله ، فأثروا بأوقافهم هذه : رضاء الله ومصلحة اخوانهم فى الايمان بالله . وقد كانت أوقافهم هذه من ثمرة الايمان بالله .

وربما تكون هناك مساعدة كذلك من صندوق ما يسمى بالضمان الاجتماعى فى وزارة الشئون الاجتماعية . وهو نظام مستحدث فى نظم الحكم المعاصرة ، على أثر ثورة الفقراء على الأغنياء فى الدول الصناعية المتطورة .

\*\*\*

٥٣ - زوجت شقيقتي لرجل علمت أخيرا : انه غير متدين . واخى والحمد لله . تصوم ، وتصلى . وينجب منها الأولاد ، ولا ينفق عليهم . فانا المربى والمنفق . ومنذ سبعة أعوام وهى تقيم عندى بأولادها . وإذا طلبها فلانجاب الأولاد فقط ، وعلى الانفاق . وبذلك اعتديت على نفقة أولادى وواجباتى لهم . فما الحكم ؟ .

● التدين فى الزوج هو الضمان لوفائه بما يلتزمه قبل زوجته . لأن التدين هو الايمان بالحقوق والواجبات والتعهد أمام الله بآدائها . فرقابة الضمير ، والخشية من الله كفيلاان بعدم الاخلال بحقوق الزوجية ، ومن بينها : الاتفاق عليها فى الأكل ، والملبس ، والسكنى .

ولكن التفتيش اليوم فى الرجل عن دينه وفى المرأة عن دينها أصبح فى حياتنا المعاصرة أمرا عديم الأهمية فى الرباط بين الزوجين • لا لأن التدين أصبح قليل الجدوى فى الوفاء بالالتزامات ، بل لأن الدوافع الأخرى من : جاه ، وعصبية ، ونفوذ فى الحياة الاجتماعية ، وثروة ، طغت عليه بين عوامل الترغيب فى الزواج • ولذا : - لأن العوامل الأخرى عدا التدين أمورا عرضية توجد اليوم ، ولا توجد غدا - كان الاحتكاك فى الحياة الزوجية كثيرا ، وكان الفشل فيها شائع الوقوع •

❶ وشكوى السائل من عدم انفاق الزوج على شقيقته - وهى زوجة له - هى احدى نتائج : عدم التدين عند الزوج • اذ لو كان متدينا لما استمرأ أن يتصل بزوجته فى الجانب الجنسى فقط ، ثم ينقطع عنها فى بقية الجوانب الأخرى فى الحياة الزوجية • وهى جوانب : رعاية الأولاد ، والانفاق عليهم وعلى والدتهم ، وهى زوجته ، وتكوين أسرة مترابطة فى ظل الوالدين معا • انه إنانى باختياره الجانب الجنسى وحده ، من جوانب الحياة الزوجية والأسرية • وإنانى كذلك بعدم انفاقه على زوجته وأولاده • وإنانى أخيرا بتركيزه نظره فى الحياة على ذاته وحدها • والأنانى غير متدين حتما ، وغير صالح بالتالى لأن يكون زوجا ورب أسرة على المدى الطويل •

❷ ان النفقة على الزوجة والأولاد واجبة قطعاً فى نظر الاسلام على الزوج والوالد • فنفقة الزوجة على الزوج يقول الله تعالى فى شأنها : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » (١) • فجعل انفاق الأزواج على الزوجات عاملا فى اسناد القوامة والتوجيه فى الأسرة الى الأزواج • ونفقة الأولاد على الآباء تاتى ضمن ذوى القربى فى قوله : « واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبنهى القريبى » (٢) • فأمر بالانفاق على الأقرباء - وفى مقدمتهم الأولاد - بجانب المعاملة الحسنة للوالدين ، وعبادة الله وحده •

❸ والسائل فيما يسأل عنه من حكم فى مشكلته يعرف جيدا : أن الزوج يعلم يقينا أن نفقة زوجته وأولاده واجبة عليه ، ويلزم بها فقها وقضاء • ولكن المشكلة حقيقة : كيف يدفع بالإنانى ليخرج عن أنانيته ؟ • وهل تستغنى الزوجة

(١) النساء : ٢٤ •

(٢) النساء : ٣٦ •

مع ذلك عن زوجها ، والأولاد عن أبيهم ؟ • والى أى مدى يستطيع الأخ الشقيق أن ينفق على أسرة شقيقته ، وينسى بعض واجباته نحو أسرته الخاصة ؟ •

يمكن للشقيق أن يرفع أمر شقيقته الى القضاء من أجل النفقة • ولكن هل حكم القضاء علاج لهذه المشكلة ؟ • ان العلاج يكمن فى تحويل النفس الشريرة – وهى النفس الأمارة بالسوء •• النفس الأنانية – الى نفس خيرة • ومن الأسف ان عامل التحويل الوحيد فى التوجيه ، وهو الايمان بالله •• ضعيف الآن وسط الموجة المادية العاتية ، التى تجتاح شعوب العالم فى وقتنا الحاضر •

\*\*\*

٥٤ – سيدة تقول : كنت مثالا للزوجة المخلصة الشريفة حتى بلغت سنن الأربعين فأنحرفت بحكم الظروف مع أعز الناس وأحبهم عندنا • فكنت أعطف عليه كالأم : بسبب غياب زوجى فترة كبيرة من الشهور ، وبسبب الخلوّة كذلك مع أمن المكان •• انقلبت هذه العاطفة الشريفة الى عكسها •

وقد حاولت مرارا الامتناع حتى قدر لى ، ورجعت عن هذا الطريق ، وتبت الى الله • وانا الآن اصلى واحضر المدروس • غير انى اشك عندما أنوى الصلاة فى أن صلاتى لا فائدة منها • فما الراى ؟ •

❶ ان دين الله – وهو الاسلام – يحرص على أن لا يربط مستقبل الانسان بماضيه الكرىه ، أن أخلص النية فى ابتداء حياة انسانية جديدة لا تمت الى ذلك الماضى البغيض بصلة •• يحرص على أن يبعث فيه روح الأمل والتفاؤل ، كى تكون خطواته الى الامام خطوات مأمونة فى سبيل حياة أفضل •

فالوثنى المادى – وهو أشد أنواع الانسان انكارا للروحية ، ولوجود الله ، ولحياة الآخرة – اذا اعترف بخطئه فى اتجاهه ، وأمن بالروحية الانسانية التى تتمثل فى الايمان بالله وباليوم الآخر •• يغفر الله له ما مضى فى سلوكه ومواقفه ويفتح له الباب للدخول الى حياة جديدة ، ويحىى فيه الأمل القسوى فى قبول الله له ورضائه عنه • يقول الله تعالى : « فمن تاب بعد ظلمه ( أى ) فمن رجع عن كفره وانكاره ، ان الكافر ظالم لنفسه ) وأصلح ( أى سار فى

طريق الصلاح وهو طريق الايمان بالله واليوم الآخر ) فان الله يتوب عليه ( اى  
فان الله يغفر له ما مضى من اخطاء الكفر فى اتجاهه ) ، ( ١ ) .

● والمؤمنون الذين يخطئون وينزلقون الى مزالق الجرائم الاجتماعية .  
ثم يرجعون عن خطاهم وينجون بانفسهم مرة اخرى من الوقوع تحت اغراء هذه  
الجرائم ، مخلصين فى عودتهم الى سبيل الله وهو سبيل الانسانية فى تهذيبها  
وصفائها . هؤلاء يعد الله بالتوبة عليهم بالطريق الاولى ، فيما يحكيه قول  
القرآن الكريم : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ( اى لأولئك  
الحمقى من المؤمنين الذين ينصرفون فى سلوكهم فيرتكبون الفاحشة )  
ثم يتوبون من قريب ( اى ثم يعودون بعد انحرافهم الى الله والى سبيله فى وقت  
يملكون فيه شأن انفسهم ويستطيعون ان يمارسوا فيه مشيئتهم وارادتهم ، وهو  
وقت حياتهم الى الموت ) فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما » ( ٢ ) .

فى شأن التوبة على هؤلاء المؤمنين - وكذلك المؤمنات - تؤكد الآية  
هنا : الصفح عنهم ان رجعوا عن خطاهم فى وقت يملكون فيه العمل والارادة :  
فتقول فى اولها : « انما التوبة على الله » وهذا وعد اكيد وضمن لا يقبل  
التخلف . وتقول مرة اخرى بعد ذلك : « فأولئك يتوب الله عليهم » فتعقب بتكرار  
قبول التوبة من الله .

وتأكيد القرآن هنا بقبول الله لتوبة المؤمنين والمؤمنات ، ليطمئنهم على  
مستقبل حياتهم ، وانها حياة مشرقة باسمه بالامل فى الله وقبوله ، وأن عليهم  
فقط الآن : أن يسيروا قدما الى الامام ، دون وقوف عند الماضى والنظر اليه .

وهذه الآية بخصوصها جاءت اثر مباشرة ارتكاب الفاحشة - وهى جريمة  
الزنا - من المؤمنين والمؤمنات .

● والسائلة فى تشككها : فى أن صلاتها غير مقبولة عند الله بعد أن  
تابت واقلعت عن خطاياها : يعود الى عمق شعورها والى احساسها بشناعة  
الجريمة التى ارتكبتها ، وليس الى عدم الثقة فيما وعد الله به من قبول التوبة  
من المؤمنين والمؤمنات ، اذا كانت التوبة صادقة . وامارة الصدق فى التوبة  
هو مثل هذا الاحساس بالخطا ، كما تحس به السائلة الآن .

---

(١) المائدة : ٣٩ .

(٢) النساء : ١٧ .

وعلينا أن نضع الأمل في الله مكان الشك في نفسها . فقد قطع سبحانه الوعد على نفسه . إذ قال : « أنما القوية على الله » وهو صادق فيما يعد ، جلت قدرته .

\*\*\*

٥٥ - انسان يهين ابيه ويعتدى عليه باستمرار ، ويكتفى بأن امه راضية عنه وتدعو له . فما الراى ؟

● مهما أساء الوالد ، ومهما أساءت الوالدة الى اولادها . فإنه يجب على الولد أن يعاملها باحسان ، أى يجب عليه أن يعاملهما برفق وبحنان وعطف عليهما . لأن الوالد أو الوالدة يستحيل على أى منهما - الا فى حال الجنون أو الشذوذ - أن يقسو على الولد قسوة ضارة . وذلك بحكم عاطفة الأبوة ، وهى أقوى بكثير من عاطفة البنوة نحو الوالدين . ولذا لم يوص القرآن الكريم الأبوين بالمعاملة الحسنة الى الأولاد . وانما كانت وصايته اليهما تحذيرهما من الافتتان بأولادهما ، على نحو ما يقول الله تعالى : « واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » (١) فقد قرن الأولاد مع الأموال فى التأثر بها والطفيان عن طريقها .

٠٠٠ بينما ينصح الأولاد بمعاملة أبويهم معاملة كريمة إذ يقول : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٢) . فيطلب بوجه عام : الاحسان الى الوالدين . وهو الرعاية المهذبة . ثم على الخصوص : يطلب عدم ابداء احساسهما بالتعبير عن التضمر منهما ، كما يطلب الطاعة لهما المنطوية على العطف عليهما ، والتذكر دائما بما قدماه من رعاية وعناية ، يوم أن كان الولد صغير السن ، ضعيف الشأن .

لم يوص القرآن الآباء والأمهات بالرعاية الكريمة الى الأولاد ، اعتمادا على عاطفة الأبوة القوية عندهم . وخشى من قوة هذه العاطفة أن يفتتن بها الآباء والأمهات فيتركون أولادهم مدللين ، أو يستعينون بهم فى الشر .

(١) الأنفال : ٢٨ .

(٢) الاسراء : ٢٣ - ٢٤ .

وأوصى الأولاد بالمعاملة الكريمة للأبَاء والأمهات • لأن عاطفة البنوة وحدها عندهم غير كافية على الدفع نحو الرعاية المهذبة لهم •

❶ والانسان الذى يهين أباه هنا لم تقو لديه عاطفة البنوة على تجنب والده الاحانة ، ولم يتبع فيها ما أوصى الله من معاملته معاملته كريمة • وقد اتبع فقط فى معاملته : هواه نحو أمه • فهو عاصى لله فى هذه المعاملة •

ولو أراد أن يوصف بأنه انسان لأدرك أن من انسانيته أن يعامل أباه معاملة أخرى مهذبة ، مهما كان بينه وبين والدته من خصومة ، أو بينهما من نفرة • ان الحياة الآن مقبلة عن الابن ، ومولية عن الأب • والابن لذلك أقوى ، والأب لذلك أضعف • ومن الانسانية أن لا يقو القوي على ضعيف ، ان لم يساعده •

\* \* \*

٥٦ - ثبت بالتحاليل الطبية : عدم صلاحية زوجي للانجاب • يضاف الى هذا : سوء عشرته ، وسوء سلوكه • والمعروف أن ثمرة الزواج : الانجاب • فهل يجوز لى أن اطلب الطلاق ؟

❷ ان مسألة انجاب الاولاد ، أو عدم انجابهم •• تتعلق بقدره الله ، ويعلمه : « لله ملك السموات والارض ، يخلق ما يشاء : يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور • أو يزوجهم ذكرا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » (١) •• واذا كانت هذه المسألة تتعلق بقدره الله ويعلمه •• فلا ينبغي أن تكون سببا للزوجة ، أو للزوج : فى طلب الطلاق ، وقصم عرى الزوجية بينهما •

واذا أمن الانسان بأن الاولاد ، أو العقم هو من الله •• فيجب أن يطمئن الى الوضع الذى يعيش فيه • وتغييره رهن بمشيئة الله وحده •

❸ اما سوء العشرة - أو سوء السلوك - فهو سبب رئيسى يعطى الزوجة : الحق فى طلب الطلاق • فعقد الزوجية فى الاسلام ليس عقد بيع وشراء : تباع فيه المرأة ، ويشتريها الرجل عن طريقه • بل هو عقد مماثلة « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (٢) •• أى للنساء فى عقد الزواج : حقوق

(١) الشورى : ٤٩ - ٥٠ •

(٢) البقرة : ٢٢٨ •

مماثلة لحقوق الرجال . وأخص هذه الحقوق : العشرة الانسانية الكريمة :  
« فامسك بمعروف ، أو تسريح باحسان » . أى اما أن تكون معاشرة الأزواج  
لأزواجهن - عندما يبقون عليهن فى عقد الزواج - معاشرة انسانية مهذبة يقرها  
المعرف الانسانى والاجتماعى . . . أولا بديل عن الطلاق :

و « الدرجة » التى تسندها الآية الى الرجال فى قولها : « وللرجال عليهن  
درجة » (١) . . . ليست درجة السيادة . . . ولا درجة الامتياز . . . والا كان عقد  
الزواج عقدا غير متكافىء ولا متماثلا . وعدم التكافؤ - أو عدم المماثلة - يبطل  
أى عقد فى الاسلام . ولكن المراد بالدرجة : درجة الانسانية فى المعاملة . . .  
درجة التهذيب والتفوق فى حسن العشرة . ومعنى أن يكون للرجال درجة على  
النساء . . . أن الحقوق بين الاثنيين اذا كانت متماثلة . . . فينتظر من الرجل مع  
ذلك أن يكون أسخى فى معاملته . . . أن يكون محسنا . . . أن لا يكون حرفيا . . .  
وانما يعطى لها أكثر مما يأخذ منها .

وسمو الاسلام فى شئون الاسرة يتجلى : فى عقد الزواج . . . وفى الطلاق  
معا . . . وتتجلى انسانيته فى جعل الطلاق بيد الرجل . . . والخلع بيد المرأة . . .  
فلا تكره امرأة مطلقا على سوء العشرة فى العلاقة الزوجية . . . كما لا يكره  
رجل على سوء العشرة فى هذه العلاقة . . . واذا امتنع الرجل عن الطلاق فللمرأة  
أن تخلع نفسها بالتنازل عن المهر : كله . . . أو بعضه . . . فقد جاء فى آية  
الطلاق : « الطلاق مرتان : فامسك بمعروف ، أو تسريح باحسان » . . . هذا حق  
الرجل ، ثم قالت : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيئا الا أن يضافا  
الا يقيما حدود الله ، فان خفتن : الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت  
به » (٢) . . . فمنعت الأزواج من أن تسترد من المهور شيئا ، الا فى حال واحدة  
فقط . . . وهى تضرر الزوجة بسوء العشرة الزوجية ، وعرضها رد بعض المهر  
لزوجها . . . فى هذه الحالة يجوز له : أن يقبل ، وتفدى هى نفسها بذلك وينفسخ  
العقد بحكم القاضى . . . لأن استمرار الحياة الزوجية مع سوء العشرة : فيه انتهاك  
لكرامة الانسان . . . واعتداء على ما أراده الله فى حياته من تكريم .

\*\*\*

٥٧ - زوجى ميسور ، ولكنه انانى ينفق على نفسه باسراف ، ويقتر على  
زوجته وأولاده . فما حكمه ؟

① يجعل القرآن الكريم : البخل ، من صفات الانسان قبل تهذيبه . . . أى

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

(١) البقرة : ٢٢٨ .

من صفات الانسان الأنانى الذى لا يؤمن بالله • فيقول فى شأن الماديين الذين لم يؤمنوا بالله : « قل : لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي ، انى لأمسكتم خشية الانفاق ، وكان الانسان قتورا ( أى والانسان بطبعه : بخيل – وضيق فى الانفاق ) » (١) • فعد البخل من طبائع الانسان الأنانى ، وأنه يسير معه فى مراحل نموه ، اذا لم يتهدب عن طريق الايمان بالله • ولذا نفى عن المنافقين : انهم لم يؤمنوا حقيقة بالله ، عندما لازمهم البخل فى انفاق أموالهم ، فى قول الله تعالى : « أشحة على الخير ، اولئك لم يؤمنوا ، فأحبط الله أعمالهم ، وكان ذلك على الله يسيرا » (٢) • كما ذكر من صفات عباد الرحمن – وهم المؤمنون المخلصون – أن انفاقهم وسط بين الاسراف والتقتير • أى فيه اعتدال ، اذ يقول الله تعالى : « والمذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان (أى الانفاق ) بين ذلك قواما ( أى معتدلا : بين الاسراف والتقتير ) » (٣) •

● والزوج صاحب اليسار اذا كان يقتر على زوجته وأولاده • ويسرف على نفسه ، فهو حقا أنانى • وهو بالتالى ليس من عباد الرحمن الذين اتبعوا دين الله فى السلوك والمعاملة • وربما يدخل فى عداد المنافقين الذين يعلنون الايمان • ولا يسايرونه فى التصرفات • هذا من الوجهة النظرية • أما من الوجهة النفسية والاجتماعية • فانه يحقر نفسه أمام زوجته وأولاده ، ويثير ببخله : الحقد والضغائن عليه ، وتكون العلاقة بين بعضهم بعضا : علاقة العداوة والبغضاء • وبذلك يحطم الأسرة ، بعد ان يحطم فى نظرهم هيئته ويزيل معالم الانسانية عنه •

والأنانى الذى يحب نفسه ، ويفقد حب الآخرين اليه • لا يسعد نفسه بحب نفسه • وانما يضعها بذلك موضع القلق من الآخرين • والايمان بالله الذى تنصح به دعوة الدين ، هو تحول عملى من السلوك الأنانى • الى السلوك الأسرى والجماعى • أى تحول من الوقوف عند الذات وحدها بالحب ، والطمع • الى رعاية الآخرين معه : فى أسرته ، ومجتمعه بنفس المقياس الذى يقيس به الرعاية لنفسه •

وهنا يقال : ان الايمان بالله هو : الركيزة الرئيسية التى تركز عليها العلاقات الطيبة بين الناس بعضهم بعضا • وهو الركيزة الرئيسية ايضا ، التى تكون العادات الانسانية • • والتى تبعد بالتالى كل صفات الأناانية •

- 
- (١) الاسراء : ١٠٠
  - (٢) الأحزاب : ١٩
  - (٣) الفرقان : ٦٧

وليس هناك عوض فى حياة الانسانى المعاصرة ، يحل محل الايمان بالله : فى تحويل الملا انسانى . الى انسانى فى الانسان . وهنا كثرت مشاكل الانسان المعاصر ، وسيزداد أمرها الى سوء ، ان لم يعد الأمر الى الايمان بالله وحده .

\*\*\*

٥٨ - طلبت من والدى ان يتبرع بقطعة أرض لبناء مسجد عليها ، ولكنه راقص فقاطعت والدى ، وامتنعت عن معونتى الشهرية التى أقدمها له وهى ثلاثة جنيهات ونصف الجنيه . فهل اكون بتلك المقاطعة عاقا لوالدى ؟ -

● يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « جعلت لى الأرض مسجدا » . أى ان كل مكان فى هذه الأرض صالح للعبادة عليه ، فى تفسير الاسلام . والاسلام بذلك لا يعقد أداء العبادة واتصال الانسان بالله ، بحيث يشترط ان تكون فى ابنىة خاصة وامكنة معينة .

كما يروى عنه عليه السلام ، ان الصلاة فى جماعة تعدل خمسا وعشرين صلاة . فاذا صلاها فى فلاة ( أى فى صحراء ) فأتى ركوعها وسجودها ، بلغت خمسين صلاة . أى ان الصلاة فى الصحراء تتميز فى القبول عند الله عن صلاة الجماعة فى المسجد . فى حين ان صلاة الجماعة فى المسجد تقتضى من صلاة الفرد فى المنزل . وربما كان تميز الصلاة فى الخلاء الواسع يرجع الى ان المصلى فيه يتفرغ للاتصال بالله كلية ، لا يشغله فيه شاغل اطلاقا . وهذا التفرغ الكامل اقرب الى روح الصلاة واقرب الى تحقيق هدفها من الاتصال بالله .

● ولكن ما جاء فى هذين الحديثين لا يحول دون فضل المسجد ، وفضل اقامته ، وفضل القائم به عند الله . والذى يقيم المسجد يؤجر على اقامته انما كان صاحب مشيئة واختيار تامين فى اقامته . وكذلك من يشارك فى اقامته بالتبرع بالأرض التى يقام عليها ، كما هو الوضع الآن فى سؤال السائل .

والوالد هنا لا ينبغي ان يكره على التبرع بأرض يملكها لاقامة مسجد عليها ، من ولده او ممن عداه . لأن عمل المكروه لا يقبل ، ولو كان ما يكره عليه هو الايمان ذاته . فالاسلام يعلق أهمية كبيرة على مشيئة الانسان وعلى ممارسته لهذه المشيئة . لأنه يرى : ان المؤمن ملتزم بنفسه ، وليس ملتزما بغيره . وهنا كان قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » .

● فإذا خاصم الابن والده ، بسبب عدم موافقته على التبرع بالأرض التي أرادها الابن لاقامة مسجد للعبادة عليها - وهو عمل خير - كان مخالفا بمخاصمته آياه لما ينصح به الله الأبناء بالاحسان الى الوالدين ، ويتجنب ما يسيىء الى شعورهما . والاحسان أعم من مساعدتهما بالمال . وقد وضحه قول الله تعالى : « وقضى ربك : ألا تعبدوا الا آياه وبالوالدين احسانا ، اما يدلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا نقل لهما : أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً » (١) .٠٠ فهنا عنى القرآن بالاحسان فى جانب القول ، بحيث يجب : أن يخلو تماما من التعبير مما يؤذى احساسهما .

والمخاصمة ، وقطع المساعدة عن الوالد ، كل منهما ينطوى على جفوة فى المعاملة ، وقسرة فى ايداء الشعور والاحساس .

والمؤمن بالاسلام لا يريد الخير بفعل ما يغضب الله . وارضاء الوالد هنا سابق عند الله فى القبول من الاكراه على المساهمة فى اقامة المسجد . ويكفى للسائل عند الله أن تكون له نية الخير فى اقامة المسجد . وارضاء والديه بعد ذلك بر يؤجر عليه . وعدئذ يكون له أجران : أجر النية على الخير ، وأجر البر بمباشرته .

\*\*\*

٥٩ - أنى متزوج من زوجتين . وعندى من الأولى ولدان موظفان بمناصب عالية ، ووالدتهما مخالقة . وعندى من الثانية : بنين ، وبنات صغار ، أقوم بتربيتهم وتعليمهم . وأولاد الأولى ليسوا معى ، ويعاملوننى معاملة سيئة . وعندى أملاك أريد أن أخص بها أولاد الزوجة الثانية ، وأحرم منها أولاد الأولى . فما الرأى ؟

● أولاً : أنه نحو ذلك للرحل أن يعطى ماله كله لغير ولده . فقد ينفق ما زاد عن حاجته له ولأسرته : فى سبيل الصالح العام : كبناء مسجد .٠٠ أو مدرسة .٠٠ أو مستشفى . أو يوقفه على مصلحة تعود على الأمة بالخير : كقوة جيشها ، أو فى سبيل الترابط بينها . فالآية تقول : « ويسألونك ماذا ينفقون ؟

(١) الاسراء : ٢٣ .

**قل العفو ( أى الزائد عن الحاجة ) ، ( ١ ) ٠٠ فأفادت ان حدود الانفاق فى سبيل الله هى العفو ٠٠ أى ما زاد عن الحاجة .**

والارث فى الاسلام استهدف - من بين ما استهدف - تفتيت الملكية ، حتى لا يطغى رأس المال بالتكديس والنماء ، فاذا خرج عن المال كله صاحبه فى سبيل المصلحة العامة : فتصرفه عندئذ أكثر قربى الى الله . واذا كان المالك يجوز له شرعا : أن يحرم أولاده من الارث كلية بالخروج عنه الى مصلحة عامة ٠٠ فانه بالأولى يجوز له أن يحرم بعض أولاده منه .

وما يروى عن النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « انطلق بى أبى يحملنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله اشهد : انى قد نحلته ( أى أعطيت ) النعمان : كذا ٠٠ وكذا ٠٠ من مالى ، فقال : أكل بنيك قد نحلته مثل هذا ؟ قال : لا . قال فاشهد على هذا غيرى . ثم قال : أيسرك أن يكونوا اليك فى البر سواء ؟ قال : بلى ، قال : فلا ، اذن » ٠٠ ما يروى ٠٠ وما يذكر فى هذا الحديث من امتناع رسول الله عن أن يشهد على عمل يفرق فيه الوالد بين أولاده ، مما يدل على عدم موافقته عليه السلام على هذه التفرقة ٠٠ لا يدل الا على : أن المستحب والأفضل أن لا يفرق الوالد فى العطاء بين أولاده ، اذا كانت الظروف متساوية بينهم . ولكن اذا كان هناك مرض مزمن لأحدهم ، أو كانت له أولاد كثيرة ، أو كان عليه دين ، أو له فضل على الآخرين ٠٠ فلا شىء فى التفضيل اطلاقا . وقد قال بذلك الامام أحمد .

❁ **ثانيا : ان الولدان الموظفان الكبيران - كما جاء هنا فى السؤال - قد أخذوا الآن حظهما من رعاية الوالد ، حتى وصلا الى ما وصلا اليه الآن من مستوى عال فى الأجر والوجاهة ، بينما الأولاد الصغار من الزوجة الثانية لم يزالوا فى حاجة الى رعاية أبئهم ومساندتهم فى تشتتهم . والعدل بين الأولاد يقضى بأن يميز الوالد هؤلاء الصغار فى العطاء عن الولدين الكبيرين . وله الغ . التمييز حد حرمان هذين الكبيرين .**

❁ **ثالثا : أن معاملة هذين الولدين الكبيرين لوادهما معاملة سيئة ، على نحو ما ذكر فى السؤال . وسوء معاملتهما لأبئهما لا تنبئ عن الوفاء له ، ولا تعبر عن خير مترقب منهما لاختوتهما الصغار ، فى حال وفاة والدهم . وهنا الأولى : أن يميز الوالد أبناءه الصغار بالميراث ، حتى لا يتعرضوا الى**

الحاجة الى اخويهم ، فى غير امل فيهم وهما باساءتهم المعاملة لوالدهما خرجا  
عن دائرة الاعتبار الانسانى .

اذ يجب أن تكون عاطفة الأبناء نحو آبائهم هى عاطفة امتنان لهم :

« واخض لهم جناح النذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما ، كما  
ريبانى صغيرا » (١) . . وليست علاقة استعلاء عليهم : « فلا تقل لهما أف ،  
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » (٢) . ولكنه المال . . ولكنها المادة . .  
ولكنها الدنيا هى التى تجعل الانسان يطغى فينسى الفضل عليه وأصحاب هذا  
الفضل ولو كانوا الآباء .

\* \* \*

٦٠ - انا طالب جامعى فى السنة الثانية بكلية العلوم بالمنصورة ، وأقل من  
عشرين عاما . ووالدى متزوج بغير أمى ويقيم بالقاهرة . وله ولدان  
من زوجته . ولا أحصل منه على أية نفقة . وهو رجل فطرى . وقد  
سبق أن أدخلته مصحة للأمراض العصبية والنفسية . وأريد أن أرفع  
دعوى نفقة شرعية عليه . غير أنى أخشى فشل القضية . فما الرأى ؟

● لا شك أن الانفاق على الأولاد واجب شرعا على الآباء . ويروى  
فى ذلك ما ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الصدقة ما كان  
منها عن ظهر غنى . ولليلد العليا خير من اليد السفلى . وابدأ بمن تعول  
( أى بمن يجب عليك أن تعولهم وتوفر لهم حاجة الطعام والشراب ، والملبس ،  
والمأوى ) فقيل : من أعول يارسول الله ؟ قال : امرأتك . . وجساريتك ( أى  
الرقيقة العاملة فى شئون المنزل ) وولدك « . ومدة النفقة على الأولاد الى أن  
يبلغوا سن الرشد .

والرشد هو التمييز والفصل فى شئون الحياة . . أو هو الاستقلال فى  
ابداء الرأى وتحمل المسئولية . وهو ظاهرة متأخرة فى الانسان ، عن ظاهرة  
البلوغ الجنسى . ويختلف ظهورها باختلاف ظروف النشأة ، والخبرة ، وممارسة

(١) الأسراء : ٢٤ .

(٢) الأسراء : ٢٢ .

العمل للإنسان • ولذا ليست للرشد سن معينة ثابتة • وقد وكلت الآية في قوله تعالى : « وابتلوا اليتمامى حتى اذا بلغوا النكاح فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » (١) • الى الأوصياء على أموال الضعفاء : تحديد الرشد لهؤلاء الضعفاء ، باختبارهم فى التصرف فى المال • فان اظهروا حكمة ، وحسن استقلال ، وحسن أداء للمسئولية فيه • سلمت اليهم أموالهم للعمل فيها ، مستقلين بدون وصاية • والا استمرت الوصاية على أموالهم الى بلوغ الرشد فيها ، مهما تأخر الزمن بهم •

والرشد بالنسبة لطالب الجامعة - قياسا على رشد اليتيم - يكون بإتمامه الدراسة فيها • لأنه عندئذ يستطيع فقط أن يميز فى شئون ما يوكل اليه من عمل يتعيش منه ويتحمل مسئوليته ، للمصالح العام • فمدة الدراسة فى الجامعة فى أية كلية بها تكون وحدة ثقافية أو علمية توفر لمن أتمها : أن يكون ذا أهلية خاصة للعمل القائم على الخبرة فيها • وقبل الحصول على هذه الوحدة الثقافية أو العلمية من الجامعة يكون الطالب ناقص الأهلية • وبالتالى : ناقص الرشد والخبرة المميزة فى العمل الذى يباشره ، صاحب الصلة بهذه الوحدة • ولذا تعتبر المدة الباقية فى دراسة الجامعة جزءا مكملًا لرشده وأهليته فى العمل الذى سيوكل اليه بعد التخرج فيها • ومن هنا تجب النفقة على والده الى أن يتم هذه الدراسة •

فإذا قيل : انه يمكن أن يباشر عملا آخر بمؤهله الدراسى السابق على الجامعة ، دون الزام الوالد بالانفاق عليه الى اتمام دراسته الجامعية • فهذا القول صحيح من الوجهة النظرية والتطبيقية أيضا • ولكن لو تم ذلك سيخلق فى نفس الطالب جوا يزيد فى سوء العلاقة بينه وبين والده ، وبينه كذلك وبين أخوته غير الأشقاء • وبذلك تضعف روابط الأسرة أو تتمزق • والمصلحة اذن فى الزام الوالد بالانفاق عليه الى أن يتم دراسته فى الجامعة •

④ أما ما يحكم به القضاء لو رفع اليه الأمر فهذا امر يتعلق بتقدير القاضى لظروفه وظروف والده وأسرته عن كذب • وربما يخرج من تقديره برأى آخر غير هذا الرأى • والذى يفتى المسائل فى ذلك هم المشتغلون بالمسائل القضائية الشرعية •

\*\*\*

---

(١) النساء : ٦ •

٦١ - انا زوجة عمرى خمس وعشرون سنة ، ومن عائلة محترمة ، واخوتى واخواتى فى مراكز مرموقة ، وزوجى فى الخامسة والثلاثين ، ولى منه غلام له عامان . واخلاقه بعد الزواج على تقيض ما ظهر به ايام الخطبة . ومرتبته أكثر من أربعين جنيها ، ويقتر على البيت ، ويبالغ فى اهانتى واسلامى ، ولا يرضى أن البس الملابس النظيفة ، أو أن أجلس من غير امتهان . وأنا الآن حبيسة هذا الجحيم .  
فماذا اصنع ؟

● هذه ظاهرة شائعة فى مجتمعاتنا الشرقية . وهى ظاهرة : أن الرجل فى فترة الخطبة لزوجته يختلف فى معاملتها ، عنه فى الحياة الزوجية . وفى فترة الخطبة يتصنع الكرم والسعة فى الانفاق . كما يتصنع التهذيب فى القول . والأتانة فى اللبس . ويقصد بتصنعه هذا : أن يؤثر عليها . الى عقد الزوجية . فاذا تم العقد بينهما ابتدا يبدو على طبيعته وحقيقته : فيبخل ويقتر . ويلوم ويؤنب . ويتراخى فى نظافة ملبسه . وهو اذ يلوم زوجته أو يؤنبها فانه يفعل ذلك معها ، لأنه بدا منها فى نظره : بعض الاسراف فى مخصصات الأكل والشرب . أو اعتمدت فى عمل المنزل على « سفالة » دائمة ، أو لبعض الوقت ، وهو يريد ان تقوم بنفسها بعمل المنزل ولو على حساب صحتها . أو حساب جمالها وانوثتها . أو على حساب تربية اولادها ورعايتهم ، طالما هناك وفر فى قروش الانفاق المنزلى . وهو أيضا اذ يتراخى فى نظافة بدنه أو ملابسه فانما يحرص على الاقتصاد فى مواد النظافة ، أو فى نسيج الملابس ، كما يظن ويتوهم .

وهذه الظاهرة تكون عادة من أنانى . والانانى مناقق . وجبان . لا يستخدم الصراحة فى المعاملة ، لأنه غير قوى . ولو كانت له شخصية الرجل القوى لحدث خطيبته أثناء الخطبة بمشاكل حياته الاقتصادية . اذ ربما تستجيب له ، وتشاركه الحل لها منذ لحظة التعارف الأولى بينهما .

● والبخيل - لأنه أنانى وضعيف - يعتمد على المال وحده ، وينتهك حرمان الإنسانية كلها - وفى مقدمتها : انتهاك حرمان نفسه - فى سبيل زيادة ماله ، ولو بملايم . وعاقبة البخيل فى حياته : سقوطه فى أزمات وشدائد لانهاية لها مع نفسه . ومع غيره ، وبالأخص فى أسرته . وقد نكر الله سبحانه عاقبة البخل فى قوله تعالى : « وأما من يخل واستغنى ( أى استغنى بالمال عن الناس ، وعن الله ) . وكذب بالحسنى ( أى ولم يؤمن بالسلوك المهذب ،

والمعاملة الكريمة ، والمستوى الانساني الرفيع في القول والعقل معا ( فسئسره للعسرى ) أى فسندفع حتما في دنياه الى الأزمات والشدائد ، ويتردى في مازقها ، وقلما يخلص منها ) . وما يغنى عنه ماله اذا تردى ( أى فى نهاية أمره فى جهنم ) ، « (١) ٠٠ فهو شقى فى دنياه ، وفى آخرته معا .

❶ وواجب الزوجة التعسة التى ساقها حظها الى الزواج ببخيل منافق ٠٠ وأنانى ضعيف : أن تتدى نفسها برد مالها من مهر عنده وهو مؤخر الصداق ، وتطلب الطلاق مباشرة أو عن طريق ولى الأمر . وقد أباح الله لها أن تتنازل عن باقى المهر ٠٠ كما أباح للزوج عندئذ أن يأخذ ما تفتدى به نفسها من مهرها ٠٠ وطلب من المؤمن - وفى مقدمتهم أولوا الأمر - أن يحرصوا على اقامة حدود الله برفع الضرر والأضرار فى الحياة الزوجية . ويقول الله تعالى : « ولا يحل لكم ( والخطاب للأزواج ) أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ( أى من مهر الزوجات ) إلا أن يضافا إلا يقيما حدود الله ( وحدود الله هى ما ذكرت فى قوله فى أول الآية : ( الطلاق مرتان فامسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ) فان خفتم ( أى أيها المؤمنون جميعا وفى مقدمتكم أولوا الأمر فيكم ) إلا يقيما ( أى الزوجان ) حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما اقتدت به » (٢) .

والطلاق هو اذن الطريق الأمثل لفك الزوجة - أو الزوج - من أسر التحكم والأضرار فى المعاشرة الزوجية . والاسلام بإقراره مبدأ الطلاق يساوق الإنسانية فى مستواها الرفيع ، ويحرص على أن تبقى للإنسان كرامة الانسان .

\*\*\*

٦٢ - أنا متزوج ولى أولاد . وكانت أمى قبل وفاتها قد بلغت الكبر ، ولم أقم برأيتها ، ولم أحسن معاملتها . وقد كان ذلك بسبب حالتى المادية . وأنا الآن وقد من الله على بالخير . فهل أستطيع أن أعمل لها شيئا بعد وفاتها ؟

❶ ان السائل يذكر فى سؤاله : انه كان له مبرر فى التقصير فى حق والدته ، وهى على قيد الحياة . وهو قصور يده ، وعدم تمكنه ماديا من رعايتها ، كما ينبغى . واعتذاره الآن بعد وفاتها عن التقصير ينبىء بأنه كان

(١) الليل : ٨ - ١١ .

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

يعترف بفضلها عليه ، وكان يتمنى : أن لو كان له من الامكانيات ما يحقق الواجب عليه نحوها : من الرعاية والاكرام . وأعتقد : أن اعترافه هذا كاف في الندم منه . والأمر متروك لله سبحانه : في أن يغفر له تقصيره ، ان كان هناك تقصير منه .

● أما ما ينبغي أن يفعله الآن لها بعد موتها : فان كان يريد أن يضيف الى أعمالها التي باشرت في حياتها . عملًا خيرا لها ، أو يتحمل عن أخطائها التي ارتكبتها بما ينفقه على أصحاب الحاجة بعدها : فان كل انسان يكتب له عند الله عمله فقط : « وكل انسان الزمناه طائرته في عنقه ( أى الزمناه بعمله ، فهو مطوق به لا ينفك عنه ) ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ( أى ولا تحمل نفس أخطات : خطأ نفس أخرى ) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١) . أى أن كل انسان ملزم عند الحساب والجزاء ، بما كان له هو فقط من عمل : خيرا . أو شرا . والمسئولية الفردية في نظر الاسلام ركن أساسى عند تقييم الانسان .

● ولكن يستطيع السائل : أن يريح ضميره الآن : بأن يرعى زوجته وأولاده خير رعاية . ويبر بأقربائهم من ذوى الحاجة . فوالدته كانت أقصى ما تتمناه لنفسها : أن ترى ولدها وأن ترى أسرته معه في حال ازدهار : في التهذيب ، والسلوك الطيب . وفى المعيشة . وفى حرص الولد على أداء واجبه فى الوظيفة والعمل . ونحو الآخرين فى المعاملات معهم . أما صلة الأقرباء بسد حاجاتهم فهي تقرب نفوسهم اليه ، وتجعلهم فى بعد عن الحقد عليه . وهذا جانب آخر يزيد من ازدهار وضعه فى الحياة .

فان كان فى دائرة امكانياته المادية بعد ذلك ما يستطيع أن يسهم به فى مصلحة عامة فى أمته ومجتمعه : فذلك خير له عند الله ، وهو لا ينشد من ارضاء والدته الآن بعد وفاتها : سوى رضاء الله عنه : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ، ويبسط ، واليه ترجعون ؟ » (٢) . فالذى ينفق فى سبيل الله ، وفى سبيل المصلحة العامة كانه يقرض الله قرضا حسنا ، فيؤديه له الله أداء مزدوجا : ان فى صحته وصحة

(١) الاسراء : ١٢ - ١٥ .

(٢) البقرة : ٢٤٥ .

أسرته وأولاده ٠٠ وان فى ستر الله له ٠٠ وان فى توفيقه فى سبيل هدايته ،  
وبعده عن الشرور والآثام ٠٠ وان فى نماء ثروته ونجاح أولاده ٠

وارادة السائل الخيرة هى عون له على النجاح فى مستقبله ٠ وكثير  
من الذين ارتكبوا أخطاء فى ماضيهم ، كانوا بعد توبتهم الى الله وايمانهم  
بطريقه المستقيم : من خيار المؤمنين : سلوكا ٠٠ وتوفيقا ٠

\*\*\*

٦٣ - فراش بمدرسة يقول : هل هذا معقول ؟ هل هذا يصح ؟

أبى يرغمنى على التوقيع على ايصال بمبلغ مائتى جنيه ، بعد  
أن طردنى من منزلنا ، أنا وأولادى ٠ وجعلنى أدفع له ثلاثة جنيهاً  
كل شهر ٠ مع العلم بأن مرتبى الشهرى أحد عشر جنيهاً ٠ ولى اخوان:  
مرتب كل منهما يتعدى الخامس والعشرين جنيهاً ٠ فهل هذا عدل ؟  
وهل هذا يرضى الدين ؟

● الاكراه على أمر ما يخل بالالتزام به ٠ فمن اكراه على الطلاق مثلاً :  
لا يقع طلاقه : بائناً ، أو رجعيًا ٠ ومن اكراه على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان :  
لا يعاقب من الله على اعلانه الكفر : « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكراه  
وقلبه مطمئن بالايمان ( فهذا لا يعاقب ) ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم  
غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم » (١) ٠

وعلى هذا النحو : من يوقع مرغماً ومكرها على دين لغيره : لا يلتزم  
بالوفاء به ٠ فلو فرض - كما جاء فى سؤال السائل - أن والده اكراهه على  
الالتزام : بدفع مبلغ مائتى جنيه ، فانه غير ملزم أمام الله ، وأمام القانون  
كذلك ، اذا ثبت أنه كان مكرها على ذلك ٠

وتضرر السائل من دفع الثلاثة جنيهاً شهرياً ، كقسط من مبلغ المائتى  
جنيه لوالده : لم يكن الوالد وحده هو مصدر الضرر له ٠ وانما ضعف شخصية  
السائل لها دخل كبير فيما يشكو منه الآن ٠ اذ لو لم يكن ضعيف الشخصية لما

---

(١) النحل : ١٠٦ ٠

التزم من أول الأمر بالتوقيع على المبلغ المشار اليه ٠٠ ثم لما التزم ثانيا يدفع الأقساط : شهرا بعد شهر .

والدين ان تدخل هنا فهو لا يتدخل بمنح ضعيف الشخصية قوة في شخصيته ٠٠ وبالتالي يضمن منه عدم الوفاء بما التزم به مكرها قبل والده ، وانما يناشد الوالد فقط : الكف عن الاعتداء على ضعيف ، اذا لم تكن له حاجة ملحة الى ماله ، ويتجه بحاجته الى ولديه الآخرين ، وهما أقدر على تيسير هذه الحاجة له .

● وليس من السهل تصور : أن الوالد لثلاثة أولاد ، يعتمد الى المضعيف بينهم فيرفقه بالتزام مالى لا قبل له به ، بينما الآخراين يستطيعان معاونته في يسر ، الا اذا كان هذا الوالد شادا في تصرفاته : يسر من ضرر غيره ، ولو كان ابنا له ٠٠ ويستمتع بممارسة القسوة على متقبل لها ، ويمارسها في غير شفقة حتى على من يجب أن يعطف عليه وهو ابنه .

والسائل يسؤاله هذا يريد اما أن يشهر بوالده حتى يعفيه من أداء ما التزم به هو في غير اكراه له ٠٠ أو يجد له مبررا ادبيا من الاجابة على سؤاله : في الكف عن الأداء لوالده .

وأولى بالابن أن يكون في رعاية والده ، ولو بالكلمة الطيبة ، بعيدا عن الشجار ٠٠ والخلاف ٠٠ والتشهير . وأولى بالوالد أيضا أن يقدر ظروف المضعيف من أولاده في الطاقة على الإنفاق ، فلا يسأله الا بعد أن يتأكد من قدرته ، ورغبته الصادقة في المعاونة كذلك . فما أكرم الانسان على نفسه اذا سلك طريق القناعة واقتدى بالله في غناه بنفسه . وأولى بالأخوين : أن يتدخلوا بين والديهم وأخيهما بما يعيد العلاقة الطبيعية بينهم جميعا . وهي علاقة العطف من جهة الوالد على جميع أولاده ٠٠ وعلاقة الاحسان والرعاية الطيبة من جانب الأولاد لوالدهم .

\*\*\*

٦٤ - رجل اعتاد الاستيلاء على راتب زوجته ، قوة واقتدارا ، بدعوى انه يستعين به على مصروفات البيت . ثم هو يغالى في البذخ والاسراف ، اعتمادا على هذا المرتب . فما رأيكم ؟

● ان الزوجة - في نظر الاسلام - مستقلة في مالها ٠٠ وفي رايها ٠٠

وفى اعتقادها • ولها شخصيتها الخاصة بها تدخل بها عقد الزواج ، كما يدخل الرجل بشخصيته الخاصة : هذا العقد أيضا •

وللزوجات حقوق قبل الأزواج : مثل ما للأزواج من حقوق قبلهن :  
« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (١) • ودرجة الأزواج على الزوجات فى الأسرة هى درجة الانفاق عليها • ودرجة المواجهة فى الحياة ، عند تنفيذ ما يستقر عليه الرأى فى شئون هذه الحياة بين الزوجة والزوج وبقية أعضاء الأسرة • فالشورى مبدأ أساسى فى صفات المؤمنين : « وأمرهم شورى بينهم » (٢) • ولا يلغىها : أن للرجال درجة على النساء فى الأسرة •

ودليل أن الزوجة مستقلة فى مالها : أن مهرها – وهو منحة من زوجها لها – إذا دخل فى ملكها لا يجوز لزوجها أن يسترد منه شيئا الا فى حالتين : فى حالة رضاها هى ، كما يقول تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن ( أى مهورهن) تحلة (أى منحة وعطية) فإن طئن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ( أى فان تنازلت الزوجات عن شيء من مهورهن التى هى منحة من أزواجهن ، عن طيب خاطر الى الأزواج • فليس هناك حرج فى أن يقبله الأزواج • انه هو حلال لهم الآن ) » (٣) • والحالة الثانية أن تفدى الزوجة نفسها بمهرها أو ببعض منه لتتخلص من سوء عشرة زوجها لها وعندئذ يجوز للزوج أن يأخذه فى مقابل فرائها منه • ويقول فى ذلك القرآن الكريم : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا الا أن يخافا : الا يقيما حدود الله ، فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ( أى ليس هناك حرج على الزوجة فى تنازلها عن المهر أو بعضه • • وليس هناك حرج أيضا على الزوج فى قبول ما تنازلت عنه • اذا تعين ذلك حلا لرفع الضرر عن الزوجة من سوء عشرة زوجها ) » (٤) •

وإذا كان وضع المهر بين الزوج والزوجة هو على هذا النحو • • فمال الزوجة الخاص بها ، كالمرتب مثلا ، لا يجوز تقطعا للزوج : أن يأخذ منه شيئا ، الا برضاء الزوجة وطيب نفسها ، وأخذ شيء منه كرها – سواء اكان هذا

---

(١) البقرة : ٢٢٨ •

(٢) الشورى : ٢٨ •

(٣) النساء : ٤ •

(٤) البقرة : ٢٢٩ •

الأكراه مقنعا أو مكشوفاً - فإنه يعتبر غضبا • والغضب حرام على المعتصب ،  
ويجب عليه رد الغضوب لمن اغتصب منه • وعقد الزوجية لا يبرر أى ضغط  
على الزوجة : ان فى الها •• او فيما تراه وتعتقده •

● اما الاسراف فى الانفاق فرسالة الاسلام استهدفت منعه ، دون أن تحرم  
الاستمتاع بمتع هذه الحياة الدنيا • وطلبت الاستمتاع بها - وهى كل ما أنعم  
الله به على الانسان من ماديات هذه الحياة - ولكن فى اعتدال ، دون اسراف ••  
ودون تقتير • يقول الله تعالى فى صفات عباد الرحمن : « والذين اذا أنفقوا لم  
يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما ( أى وكان انفساقهم وسطا بين  
الاسراف •• والتقتير ، والوسط بينهما هو الاعتدال ) ، ( ١ ) • وقد أباح الله  
الاستمتاع بكل متع الحياة ، ولكن حرم فقط : الاسراف فيها فى قوله : « وكلوا ،  
واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » ( ٢ ) •

والزوج - كما جاء فى سؤال السائل - الذى يكره زوجته على أخذ  
مرتبتها منها ، ويسرف فى انفاقه يرتكب أمرين حرمهما الله : يرتكب غضب  
المال ، كما يرتكب الاسراف فى انفاقه • ثم يسيىء بهذا وذلك : الى عشرة  
زوجته • وهو من أجل ذلك زوج غير صالح ، لا يرجى منه الخير •

\*\*\*

٦٥ - لماذا تمهر المرأة ممن يتزوجها ؟

● كرامة الزوجة : فى مهرها :

يقول الله تعالى : « وأتوا النساء صدقاتهن نحلة » ( ٢ ) •

● تذكر الآية هنا أمرين :

الامر الأول : تقديم الرجال للنساء عند الزواج بهن : مهورا :  
« وأتوا النساء صدقاتهن » ،

الامر الثانى : ان هذه المهور عطايا ومنح من الرجال ، وليست ثمننا  
لشيء عند المرأة : « نحلة ( أى هدية ) » •

( ١ ) الفرقان : ٦٧ •

( ٢ ) الأعراف : ٢١ •

( ٣ ) النساء : ٤ •

والأمر بالمهر عند الزواج هو لصيانة المرأة عن الابتذال ، ولتكوين  
الاحساس لديها بأنها مطلوبة الآن من الرجل ، وليست هي بطالبة آياه وساعية  
تحوه . وإذا توفر لديها هذا الاحساس - رغم أنها في واقع الأمر تطلب  
الرجل نفسيا كذلك - فانها تدخل العلاقة الزوجية مع زوجها وهي مصونة  
الكرامة ، معتزة : انها الآن بين يدي من يقدرها ، وقد طلبها ، ويحرص على  
بقائها معه ، طالما قد قدرها وطلبها من قبل ، معبرا تعبيراً ماديا بالمهر عن  
طلبه .

ولو فرض العكس وهو أن المرأة تدفع للرجل مهرا عندما تتزوجه . .  
لكان ذلك تعبيراً منها على الرغبة فيه ، والسعى اليه ، والالاحاح في طلبه ،  
مما يجعل المرأة - مع ضعفها في مقاومة صعاب الحياة نفسيا على الأقل -  
تحس بالهانة وبزيادة الضعف . فاذا دخلت العلاقة الزوجية تدخلها وهي  
لاستطيع أن تشعر بأنها في مستوى زوجها . وعندئذ مهما أعلنت : بأن لها  
نفس الحقوق وعليها ذات الواجبات التي للرجل والأخرى التي عليه . . .  
فانها قلما تمارس معنى المساواة بينهما في الحياة الزوجية .

أما وصف المهر بأنه هدية ومنحة من قبل الزوج فللخروج به عن معنى  
الثمن في عقد البيع . لأن عقد الزواج وإن كان يقوم على التماثل والتكافؤ  
بين الرجل والمرأة فليس المهر ثمنا لشيء فيها . لأن الثمن دائما هو مقابل  
لشيء في عقد البادلة . وحرص القرآن على أن يدفع عن المهر : معنى الثمن ،  
ليؤكد الهدف من المهر . والتعبير عن طلب الرجل للمرأة في علاقة زوجية .  
والا : لو كان المهر ثمنا لكانت المرأة بالتالى سلعة . وإذا نظر إليها على انها  
سلعة : أهدرت كرامتها الانسانية ، وتحولت الى أمر مادي يساوم عليه .  
وذلك منتهى الازلال لها .

فمطالبة الرجل بالمهر للمرأة عند الزواج بها ، وابعاد المهر عن معنى  
الثمن والدخول في المساومات المادية - هو لكرامة المرأة وحدها . وقيمة  
المهر هو اذن في التعبير عن طلب الرجل للمرأة فقط ، وليس لكمه المادي .

● والحضارة البشرية المعاصرة رغم تقدمها في الجانب المادي تقوما  
عظيما . . فانها لم تتقدم حتى الآن - بما يقرب من نظرة الاسلام الى المرأة -  
في ابعاد المرأة عن الضعف والمذلة ، اذا عقدت مع الرجل علاقة زوجية . فما  
زالت المرأة تحمل عند الزواج على أن تكون هي الطالبة للرجل ، وأن تكون  
البادئة في ذلك بما تقدمه له من مغريات عديدة . ولعل أرخص هذه المغريات

ما تسوقه إليه من مال ، على أنه أمر واجب لينقذها في مقابلة من العزلة في الحياة .

\*\*\*

٦٦ - الإسلام يوجب على المطلقة إذا كانت أما لطفل صغير : أن ترضعه لمدة عامين . لماذا ؟

● لبن الأم : في خدمة الانسانية :

يقول الله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .

● ان الوالدات هنا اللاتي يكلفن بارضاع أولادهن حولين كاملين : من المطلقات من أزواجهن . ولكن لمصلحة الأولاد يلزمهن الإسلام - إذا شاء الآباء - بارضاع أولادهن عامين كاملين وحضانتهم لهم في هذين العامين . وعلى الآباء في مقابل هذا التكليف للوالدات : أن يتكفلوا بالنفقة عليهن حسب سعتهم واستطاعتهم على الانفاق : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » (١) .

● والإسلام يلزم الأمهات الوالدات والمطلقات في الوقت نفسه اذن : بارضاع أولادهن من أزواجهن الذين انتهت علاقتهن الزوجية بهم ، لمدة عامين . وبذلك يضعهن من جديد في خدمة هؤلاء الأزواج السابقين لمصلحة الأولاد من الجائنين . واذ يصنع ذلك فانه يرى للبن الأم فائدة في تربية طفلها السذى ولدته على الأخص . وهي ليست فائدة مادية تعود على نمو بدنه ووقايته من كثير من الأمراض والتوعكات فحسب . بل فائدة نفسية . فائدة انسانية بشرية . وهي أن الأم تنقل الى طفلها - أو الى أى طفل آخر ترضعه منها - مع اللبن كغذاء طبيعى : العواطف الانسانية والمعانى البشرية الخاصة ، من تبادل الحنان . وتبادل البسمات . وتبادل القيمة بالكائن الانسانى الجديد . فيشب هذا المولود الصغير وهو يحس بكيانه فى المجتمع على أنه عضو فيه ،

---

(١) البقرة : ٢٣٣ .

لأنه عضو ملحوظ بالرعاية فى الأسرة وفى حضانه الأم له • كما يتجاوز بالحنان ، وبالبرسات ، وبالقيمة الانسانية المتبادلة : غير أمه ، ممن يعيشون فى محيطه من الآخرين : صغارا وكبارا على السواء • وهو اذن ليس معزولا ، ولا منبوذا ، ولا متشائما ، ولا محسا بنقص فى اعتباره البشرى •

هو طبيعى فى استقباله المجتمع ، وفى حياته فيه ، وفى نظرتة الى الحياة والاقبال عليها • لأنه تعود فى فترة السنتين اللتين قضاها مع أمه يتغذى بليتها ويلحظ عواطفها ويتبادل معها الاحساس بالسرور والبشر ، ويحس بالاعتبار البشرى الذى تمنحه هى له • وفترة السنتين كفيلا بأن تصبح هذه العواطف عادات لديه ، وبأن تتبلور فى سلوك لا شعورى فى مواجهة الآخرين معه فى الأسرة ثم فى المجتمع •

● ونظرة الحضارة المادية المعاصرة الى المولود على أنه مركب عضوى ، على حساب أنه مركب نفسى كذلك : جرت الى النصح بعزل الولد عن والدته فى الرضاعة ، وأوصت بتغذيته صناعيا • وتركت العناية بالجانب النفسى فيه ، مما كون لدى كثير من الأطفال : الشعور بالعزلة النفسية ، أو الشعور بعدم تقدير الآخرين له فى المجتمع ، أو الاحساس الكئيب بالحياة نتيجة عدم تبادلها العواطف الانسانية والمشرقة ، مع أقرب الناس اليه • فوالدته تعمل أو تهتم بشئون أخرى تهتمها هى فى الدرجة الأولى • وبذلك تشغل فراغها بعيدة عنه • فاذا عادت اليه عادت على عجل • وطالما مولودها يصيب وجباته الغذائية الصناعية بانتظام •• فالأمر لا خوف ولا حرج فيه بالنسبة له •

● وبهذه النظرة المادية من جانب الحضارة المعاصرة أصبحت هذه الحضارة مسئولة اليوم عن : تفكك الاسرة ، وعن اللامبالاة واللامسئولية فى نظرة الشباب اليوم الى الواجبات ، وعن نظرة التشاؤم والهرب من الحياة الجادة فى صور واللوان مختلفة من الهزل والمجون والسلوك الحيوانى والبربرى •

والاسلام بنظرتة الى قيمة لبن الوالدة بالنسبة لمولودها من الوجهة الانسانية يدفع المجتمع البشرى الى أن يكون مجتمعا انسانيا له خصائص الانسانية • ولذلك هو دين الانسان فى تقدم مستواه الرفيع •

\*\*\*

٦٧ - ترى حركة تحرير المرأة فى الوقت الحاضر : تقييد الطلاق • ما هى أهدافه فى الإسلام ؟ :

● مساوقة الطبيعة البشرية فى الطلاق :

يقول الله تعالى : « الطلاق مرتان : فامسك بمعروف ، او تسريح باحسان » (١) •

● ان عقد الزواج ان يقوم على الرضا والموافقة من جانبى الزوجة والزوج •• لا يضمن استمرار رضاهما وموافقتهما طوال حياتهما •• وبالتالي لا يضمن عدم وقوع الضرر فى العشرة الزوجية بينهما • فهما قبل كل شىء شخصان ، وليسا شخصا واحدا • هما وحدتان بشريتان مستقلتان ، وليسا مركبا من جزئين ، يمثل كل جزء واحدا منهما •

وإذا كانا شخصين مستقلين فان استقلالهما يعود الى فروق فى طبيعتهما : قد تضيق هذه الفروق ، وقد تتضاءل الى حد كبير • وهنا يكون الانسجام بين الزوجين ، ويكون النوم فى حياتهما الزوجية • ولكن قد تتسع هذه الفروق ، وتحدث الفجوات ثم الاهتزازات فى الرباط الذى بينهما ، وهو رباط الزوجية • وإذا تعرض رباط الزوجية الى فجوات فى التجانس والى اهتزاز وتخلخل فيه •• فانه لا يعود صالحا لجمع كل منهما مع الآخر • وتصبح الحياة الزوجية حياة متنافرة : فيها الشد والتراخى ، وفيها القطيعة والوصل • ثم تصبح غير قابلة للتفاضى والتراخى ، وغير قابلة للوصل اطلاقا •

● وقد اضعفت على العلاقة الزوجية فى بعض الحضارات غير الاسلامية : هالة من القداسة ، تكريما للأسرة ، ومنعا لها من التفكك وتشريد الأولاد • ثم بناء على ذلك : نظر الى عقد الزواج على أنه عقد غير قابل للانفصال النهائى ، وأنه لذلك اذا تازمت الحياة الزوجية بين الزوجين فانهما يعطيان فرصة أخرى ينفصل فيها كل عن الآخر انفصالا مؤقتا لمدة من الزمن قد تقصر وقد تطول ، وقد تمتد الى آخر حياة واحد منهما • والموت عندئذ هو المفرق بينهما ، وليست الارادة البشرية •

ولكن الحياة البشرية لا تحتل أزمة من الأزمات القاسية مشدودة ومستمرة الى نهايتها • ثم من جانب آخر لا تحتل الطبيعة البشرية للزوجة ،

---

(١) البقرة : ٢٢٩ •

ولا كذلك الطبيعة البشرية للزوج اذا انفصلت احدهما عن الاخرى انفصالا مؤقتا : أن تكون ودية للصلة الزوجية فيما بينهما ، فلا تشتت المرأة الرجل ، ولا يشتت الرجل المرأة ولا يسعى كل منهما للآخر ، تحت تأثير عقد الزواج القائم فقط نظريا بينهما . وتصبح هالة القداسة التي اضيفت على عقد الزواج مدنسة ، ببقاء الزوجية قائمة ، رغم اشتداد الازمة بين الزوجين ، ورغم اشتداد النفرة والقطيعة في الصلات النفسية بينهما .

● وإبعادا لازدواج الشخصية لدى الزوج ولدى الزوجة في حال الانفصال المؤقت بينهما في بعض الحضارات غير الاسلامية ، وحلا لأزمة سوء العلاقة بين الزوجين ، ورفعاً لضرر المعاشرة بينهما ، وعودا لاعادة الحياة الانسانية الطبيعية لكل منهما ، وتمكيناً لهما من ابتداء حياة انسانية موفقة من جديد . . كان الطلاق في الاسلام على نحو ما جاء في قول الله تعالى : « الطلاق مرتان فامسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان » .

والطلاق في الاسلام يمثل الارادة البشرية لدى الزوج عندما يتضرر بمعاشرة زوجته . وهناك الخلع من جانب الزوجة يمثل ارادتها البشرية في الفرقة تضررا من معاشرة زوجها . والطلاق أو الخلع ، بذلك يكون الحل لأزمة العلاقة الزوجية ان تضرر بها الاثنان أو واحد منهما .

وهكذا : الطلاق يساوق الطبيعة الانسانية وخصائصها . وهو لحل أزمة وشدة ، وليس للارهاب أو التهديد ، أو الابتزاز . ولأنه تتأثر به الأسرة في روابطها كان أبغض الحلال عند الله . ومعنى ذلك أنه لا يستخدم الا اذا كان لا مفر من استخدامه كحل لأزمة الحياة الزوجية .

وقد رأى أصحاب الحضارة غير الاسلامية منذ زمن بعيد : أن الطلاق هو الحل الأخير لمشاكل الزوجية . وأن أكثر نظم الغرب تصلبا في أيدي الزواج أخذ يسير الآن نحو الطلاق . لأنه ظهر أنه المتفق مع الطبيعة البشرية ، بعد تجارب المجتمعات الطويلة في حل مشاكل الانسان .

\*\*\*

٦٨ - لماذا كان الطلاق بيد الزوج ولم يكن باتفاق الزوجين ؟ :

● الطلاق بيد الزوج :

يقول الله تعالى : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ،

فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ، ان ظنا ان يقيما حدود الله « (١) » .

● المجتمعات الحضارية غير الاسلامية التي اخذت بمبدأ الطلاق كحل لازمة الزوجية : جعلته من اختصاص المحاكم ، وجعلت من أسبابه : سوء العشرة فى الحياة الزوجية ، وخيانة أحد الزوجين للأخر بمباشرة المعاشرة الجنسية غير المشروعة مع طرف ثالث .

وهذه المجتمعات اذ اخذت بمبدأ الطلاق تقدمت خطوات فى النظرة الى طبيعة الزواج كعقد بين فردين يستحيل انصهار أحدهما فى الآخر ، مهما توثقت العلاقة بينهما . وهى اذ تجعله من اختصاص المحاكم تريد أن تحتفظ للتقالييد السابقة فيها على العمل بتشريع الطلاق : باعتبارها وقيمتها وأثرها على الحياة الانسانية بين الأفراد فيها . ومن جهة أخرى طالما قيدت الطلاق بأسباب معينة ومحدودة فالقضاء هو أسلم الاختصاصات فى الفصل فى أسباب طلب الطلاق والذي يتقدم به أحد طرفى عقد الزواج أو كلاهما .

● ولكن المجتمع السويدى تقدم خطوة أخرى فى تيسير أمر الطلاق . وجعل هذه السنة ، سنة ألف وتسعمائة واثنين وسبعين ( ١٩٧٢ ) موعدا لتنفيذ الطلاق بين الزوجين من غير الرجوع الى المحاكم فى حالة واحدة . وهى حالة ما اذا اتفق الطرفان : الزوج والزوجة ، على الطلاق . وما عليهما الا أن يذهبا الى مكتب السجل المدنى ويوقعا فيه على اتفاقهما على الطلاق . كما هو الشأن فى حال عقد الزواج .

وتوسيط المحاكم فى الفصل فى الطلاق لتقييم الأسباب التى قام عليها طلب الطلاق ان كان له جانب ايجابى ، فله جانب سلبى آخر ، وربما يطفى على الجانب الايجابى له . وهذا الجانب السلبى هو نشر أسرار الأسر ، واتخاذ بعضها وسيلة للتهديد أو ابتزاز المال . هذا الذى ما قد ترتكبه الزوجة أو الزوج من جريمة الزنا قصدا ، وربما فيما يشبه العلىن ، كى تقدم السبب الفاصل فى الخلاص من الزوجية .

والمجتمعات الغربية تعتبر المجتمع السويدى مجتمعا تقدما فى الحضارة البشرية ، لأنه اباح منذ هذا العام للزوجين المتفقين على الطلاق : ان يسجلا اتفاقهما فى مكتب السجل المدنى ، دون الحاجة الى حكم قضائى فيه .

---

(١) البقرة : ٢٢٠ .

● والمجتمع الاسلامى منذ قيامه بالمدينة بعد الهجرة - اى منذ الف وثلاثماية واثنين وتسعين عاما - جعل الطلاق للرجل ، ووكل اليه وحده تقدير الظروف وتقدير العوامل التى تحمله على مباشرة الطلاق ، فقال : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ، ان قلنا : ان يقيما حدود الله » . . . فجعل الرجل هو المطلق . واعطاه فرصة لمراجعة زوجته ، ان كانت فى مراجعتها استقامة للحياة الزوجية ، وتجنب اسباب الازمة السابقة على الطلاق .

وكما جعل للرجل حق الطلاق ، جعل للمرأة بسبب سوء العشرة حق الخلع . وذلك بان تعرض الامر على القاضى ، بعد ان تتنازل عن الصداق - كلا أو بعضا - فيطلق القاضى عن الزوج ان لم يستجب هو للطلاق . وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولا يحل لكم ( أيها الأزواج ) ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ، فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » (١) .

وهكذا !الاسلام فى حسن تقديره للطبيعة البشرية جعل الطلاق كحل لازمة الزوجية ، ومن غير الرجوع الى اجنبى عن الزوج . وبذلك تبقى اسرار الأسرة بين الزوجين فقط ، كما يبقى عامل الطلاق فى نفس الزوج وحده . وليس بالبعيد ان تتقدم هذه المجتمعات الحضارية غدا : فتطبق نظام الاسلام فى الطلاق وفى الأسرة على العموم .

\*\*\*

٦٩ - ما هى الحرية التى تتمتع بها المرأة فى العلاقة الزوجية ؟ :

● حرية الزوجة فيما تملك :

يقول الله تعالى : « فانظن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (٢) .

● زواج المرأة بالرجل لا يذهب بشخصية المرأة ، ولا باستقلالها فى عقيدتها ان كانت كتابية أى يهودية أو نصرانية . كما لا يذهب بحريتها فى

---

(١) البقرة : ٢٢٩ .

(٢) النساء : ٤ .

التصرف فيما تملك ، ولا يضعف من شأن هذه الحرية لديها . لأن عقد الزواج – كأي عقد آخر يجيزه الإسلام – هو عقد « مماثلة » . أى أن التماثل يجب أن يكون متحققا فى طرفى العقد . ومن هنا كان للزوجات نفس الحقوق وعليهن نفس الواجبات التى للرجال وعليهم : « ولهن مثل المذى عليهن بالمعروف » (١) . ودرجة الرجال على النساء فى قول الله تعالى : « وللرجال عليهن درجة » (٢) . هى تفوق فى المعاملة الكريمة فوق « المماثلة » التى للآثنين . أى زيادة فى الرعاية تنم عن احسان وكرم فى سلوك الزوج نحو زوجته .

● ومن شأن عقد المماثلة أن لا يفقد أى طرف من طرفيه : ما كان له قبل العقد . والانسان : انثى أو رجلا ، لا يحجر عليه فى شأن المال الا بسفه فى التصرف فيه . وما عدا السفه فله حريته فى استثماره والانتفاع به ، على أن يؤدى حق الغير فيه ، لأن ملكية المال الخاصة فى الاسلام مشروطة بمنفعته العامة للمالك له ، ولن تجب له الزكاة والاحسان منه .

● وقد جاء فى شأن المال الذى يدخل فى ملك الزوجات من قبل أزواجهن قوله تعالى : « فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ( أى فان رضين رضاء نفسيا وتنازلن اليكم عن شيء مما أعطيتموهن منحة ، فى غير اكراه ) فكلوه هنيئا مريئا ( أى فتقبلوا ما تنازلن عنه فى غير اكراه قبولاً خالصاً لا حرج فيه ) » . فالآية تبين : أنه بالرغم من أن المهور هدايا من الأزواج لزوجاتهم ، فطالما دخلت فى ملكهن فانهن وحدهن يصبحن أحرارا فى التصرف فيها ، ولا يكرهن من قبل الأزواج على تصرف معين فيها ، مع أنها مهداة منهم أصلا . وبناء على ذلك : لا يجوز للزوج أن يسترد من المهر الذى أعطاه لزوجته شيئا الا اذا تنازلت له عما تعطيه إياه فى رضاه وأطمئنان نفسى وعدم شعور بالاكراه أو بالضغط عليها .

وإذا كان الزوج لا يجوز له أن يحمل زوجته على تصرف معين فيما أعطاه لها . فإنه بالأولى لا يجوز له أن يحملها على تصرف خاص فيما تملكه هى أصلا .

● وأذن حرية تصرف الزوجة فيما يدخل تحت يدها من مال وفيما تملكه . . . شئ يقره الاسلام منذ البداية . بينما المرأة الغربية : تحاول فى حركة : « التحرير » المستمرة رفع وصاية الزوج عن مالها . إذ بمجرد قيام

---

(١) البقرة : ٢٢٨ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

عقد الزوجية لا تتصرف الزوجة فى مالها الخاص الا باذن زوجها • وقد وصلت المرأة الفرنسية فى الستينات الى تقييد وصاية الزوج واستخلاص نوع من حرية المباشرة فى ملكها • وهكذا تعود البشرية اليوم الى ما ابتدا به الاسلام من قبل •

● والاسلام ان يتيح حرية المرأة فى التصرف فى مالها فانه لا يقيد الا بشئ واحد وهو ان لا يوجه ضد مصلحة الزوج والاسرة • لان مثل هذا التصرف عندئذ يكون مقوضا للعلاقة الزوجية •

\*\*\*

٧٠ - هل للزوجة الموظفة حرية التصرف فى راتبها من غير رجوع الى راي الزوج ؟

● ان عقد الزواج فى الاسلام يتيح فقط الترابط بين الزوجين فى المعاشرة بينهما والمحافظة على النسل الذى ياتى نتيجة لهذا العقد • وهدفه لا يتجاوز ما جاءت به هذه الآية الكريمة :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) • فقد نصت هذه الآية على ان الاطمئنان والمودة والرحمة المتبادلة هى هدف العقد من الزوجية •

ومن اجل ذلك يطلب عقد الزواج ان ( ينسجم ) كل من الزوج والزوجة فى هذا العقد بحيث يترتب عليه هذه الاهداف وهى : السكنى والاطمئنان والمودة والرحمة المتبادلة - فانه لا يطلب اطلاقا الغاء شخصية كل من الزوجة فى سبيل الزوج وشخصية الزوج فى سبيل الزوجة • فاستقلال كل ذات منهما قائم ويجب ان يبقى • ولكنه فحسب يجب الا يفوق هذا الاستقلال نمو المودة والرحمة والاستقرار •

والزوجة بذلك لا تعيش ضمن نطاق شخصية الزوج • ولهذا بقيت لها تصرفاتها بعد الزواج ، تلك التصرفات التى كانت لها قبل قيام عقد الزوجية • ومن هذه التصرفات شئون المال • سواء كان فى صورة مرتب أو صورة ملك أو فى صورة تجارة من بيع وشراء أو فى غير ذلك من الصور التى تعبر عن

---

(١) الروم : ٢١ •

ملكية المال واقتنائه . وكذلك بقى لها استقلالها فى شئون العقيدة فلا تحمل زوجة على الاسلام بسبب عقد زواجها من مسلم اذ ان ذلك سيكون اكراها فى الدين . وهذا ما ياباه الاسلام اذ يقول القرآن الكريم « لا اكراه فى الدين » (١) .

وهذه الخصيصة - وهى المحافظة على استقلال المرأة تجعل هى وغيرها من دين الاسلام دينا لحياة الانسان يسارق طبيعته فى أى عصر كان .

والحكم الشرعى اذن هو الاسبيل للزوج على مرتب زوجته . عليه الانفاق ولها ان تشارك ان احبت ولكنها لا تكره على ذلك .

\*\*\*

٧١ - احب زوجتى وهى تحبني ، ولم نرزق طفلا مع عدم المانع الطبي من جهتي . فما جزاء صبرى على هذه الحالة ؟

● هدف الزواج جملة أمور :

أولا: الاسهام فى استقامة السلوك الفردى ،

ثانيا : الاحساس بالمسئولية الأسرية ومحاولة القيام بتحملها مما يحفز الانسان أكثر وأكثر على السعى فى الحياة وعلى التدبر فى حل المشاكل التى تواجهه .

ثالثا : السكنى والاستقرار وتبادل الشعور الانسانى بالمودة والمطف .

وربما عن طريق هذا الهدف الثالث يتحقق الهدفان الآخران . لأنه اذا لم يتحقق الاستقرار لكل من الزوجين بزواجهما لا يستقيم سلوك أى منهما مع الجنس الآخر ، كما قد لا تتوافر الرغبة القوية فى المحاولة لتحمل المسئولية الأسرية .

ومن أجل عامل الاستقرار والمودة هذا فى حياة الزوجين افصح الكتاب الكريم عنهما خاصة كهدف للزوجين فيما يقوله :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » (٢) .

(٢) الروم . ٢١ .

(١) البقرة : ٢٥٦ .

••• اما الهدف الرابع فهو انجاب الأطفال • وانجاب الأطفال يكون هدفا حقيقيا للزواج اذا زاد به استقرار العلاقة بين الزوجين وملا فراغا في حياتهما يحملانها على تحمل السعى فيها في رغبة وفي محبة وفي رضا • والا فياجاد الأطفال نفسه قد يخلق مشاكل لا تحد وقد يهز حياة الأب أو الأم هزا عنيفا •

» ومن سؤال السائل يتضح أن الزواج عنده يحقق أهدافه الثلاثة  
أولى ، وهي :

المساهمة في استقامة السلوك الفردي ،

والقيام بالمسئولية الأسرية ،

والاستقرار وتبادل المودة وأكثر من المودة •• لأن العلاقة بين الزوجين اذا عبر عنها الزوج بعد سنة أو أكثر من الدخول بالزوجة بـ « الحب » •• تكون قد بلغت بينهما مبلغا كبيرا في الانسجام والألفة ، مما ينتظر منهما أن تكون نافذة في القضاء على مصاعب الحياة ومشاكلها وبالتالي عاملا على زيادة الترابط بين الزوجين •

ولاشك أن السائل عثا سعيد في زواجه ، رغم عدم وجود أطفال له من زوجته الحالية • ويجب أن يكون سعيدا بزوجه هذه ، وأن يحرص كل الحرص على أن لا يزعج هذه الزيجة بترديد رغبته في انجاب الأطفال أمام زوجته أو بمحاولة الزواج بأخرى معها •

ان متع الحياة الدنيا كثيرة ومظاهر زينتها عديدة • ولكنها لا تجتمع كلها لمواحد من الناس •

فقلما يكون الموسر صحيح البدن ، أو قرير العين بأولاده •

وقلما تتوفر لسعيد الحظ بأولاده متعة السعة في الانفاق في حياته •

وقلما يضيف العالم أو المفكر الى قوة عمله أو تفكيره جاه السلطة

أو وجاهة الثروة ••• وهلم جرا •

ولعل من الخير أن لا يكون لك ولد • اذ ربما يصبح لك مصدر شقاء

وتعب :

« ياأيها الذين آمنوا ،

« ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ••• » (١) • والرضا

بما قسم الله هو خير طريق للبقاء على الأمل في الحياة •

(١) التغابن : ١٤ •

وإذا كان يريد أن يلبس رغبة الأبوة في نفسه فيمكنه أن يشترك بنفسه  
أو بماله في مؤسسات للطفولة تحتاج إلى عون أمثاله ممن لديهم ميل أبوي  
قوى .

\*\*\*

٧٢ - لى صديق لم ينجب أولادا من زوجته . ويريد الزواج ثانية لهذا  
الغرض . وكلف زوجته خطبة زوجة ثانية له ، ولكنها رفضت ، وقالت  
لا أستطيع . فما الحكم ( في رفضها ) ؟

● هل تأكد السائل - عن طريق الفحص الطبى - أن الزوجة هي سبب  
العقم وعدم انجاب الأولاد ؟ . فقد لا تكون هي السبب أو شريكة فيه - وعندئذ  
لا مجال للتفتيش عن زوجة أخرى جديدة ، طالما لا يشكو الزوج من العلاقة  
الزوجية بين زوجته وبينه ، فيما عدا انجاب الأولاد .

على أن تكليف الزوجة بخطبة زوجة جديدة لزوجها ، وهي باقية في  
علاقة زوجية معه ، أمر لا تستطيعه الزوجة من الناحية النفسية بحال . وهو  
أشبه بطلب إنهاء حياتها بيدها . حتى ولو كان حسن النية والقصد متوفرا ،  
عندما يكلفها بذلك ، كان يظهر لها بهذا التكليف رضاه عنها والعمل على  
راحتها .

إن مواجهة الزوجة من زوجها بأى نقص فى بدنها أو فى طبيعتها  
كانت ، لا يجرح احساسها جرحا عميقا فقط ، ولا يدعها تعرض بسبب  
تفكيرها فيما تدفع به النقص عن ذاتها كامرأة وزوجة فحسب . وإنما - حتى  
بعد تنازل زوجها عن نقده ومحاولة اصلاح ذات البين بينه وبينها - سيتترك لها  
هذا الأمر ذكريات مريرة ، تشككها فى قيمتها وفى كل تصرفات تأتي بها فى  
المستقبل .

وتكليف الزوج زوجته بالبحث عن امرأة أخرى تكون زوجة له معها فى  
حياة رجل واحد ، ينطوى على اشعارها بالنقص فى طبيعتها كانتى . وهي  
لذلك تدور حول نفسها لتبحث عما يرد عنها هذا النقص ، وليس للتفتيش عن  
ضرة ، مقبلة يؤكد وجودها معها النقص فى طبيعتها هي .

إنه مع افتراض توفر حسن النية لدى السائل فى تكليف زوجته بما  
كلفها به ، فإن الأمر من جانبها لا يستطيع تنفيذه بحال ، بغض النظر عن  
الايذاء النفسى لها .

ومن هنا رفضها لطلب زوجها يتفق تماما وخصائص طبيعة الأنثى  
والزوجة . . . يتفق مع حياء المرأة وكبريائها ودواعي وجودها عنده كزوجة .

والشان بعد ذلك هو شان الزوج السائل . أما أن يعاشرها بالمعروف :  
فلا يجرح احساسها ، ولا يكلفها بما لا تطيق نفسيا وبدنيا ، ولا يؤذيها في  
خاصة نفسها . وعسى ما يكرهه منها الآن ، وهو عدم انجاب اولاد ، يكون  
خيرا في واقع امره ، له ولها على السواء :

« وعاشروهن بالمعروف ،

« فان كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا  
كثيرا » (١) .

. . . . . وأما أن يطلقها موقورة الكرامة ، وموفرا لها يسر الحيانة واحسن  
السمعة في مستقبلها :

« الطلاق مرتان ،

« فامسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان » (٢) .

. . . . . ولكن نصيحتي له هي : أن يحد من انانيته قليلا ، ولا يتشدد في  
طلب الولد ، مع أنه متمتع بالحياة . لأن الولد يطلب كزينة ، وكنوع من العصية ،  
وكذكريات بشرية للوالد . وهي أمور يشق تحققها في عالمنا المعاصر اليوم .

وعليه أن يرضى بما قسمه الله له من زوجة رضية . وثروتها في أمانتها  
وفي حسن صحبتها .

\*\*\*

٧٢ - ماتت أمي وتزوج أبي بأخرى ، ورباني حتى تخرجت من مدرسة فنية  
متوسطة وراتبي اثنا عشر جنيها ، أعطيه لوالدي كله ، وأخذ مصاريفي  
كأى ولد صغير . وبعد خمسة أعوام أفهمته بكل لطف : أتى أريد أن  
أتزوج وأن أكون نفسى . فاشتد غضبه وقال : من يربى اخوك ؟ وأنا  
أريد أرضاء أبى مع عدم ضياعى . فما الحكم ؟

● هنا قام الأب بواجبه في اعداد ابنه للحياة ، حسبما وسعت امكانياته  
المادية هذا الاعداد فتخرج الابن من مدرسة فنية متوسطة .

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

(١) النساء : ١٩ .

وهنا كذلك كان الابن باراً بوالده فى الدرجة الأولى وعطوفاً على أخوته فى الدرجة الثانية . فكان يعطى الأب مرتبه كل شهر ولا يأخذ منه - إلا ما هو ضرورى له ، كأحد أخوته سواء بسواء ، كما يذكر فى سؤاله ، وفوق ذلك يدين له بالطاعة ويحافظ على احساسه وشعوره كأب له .

والمشكلة هى : ان هذا الابن البار يريد الجمع بين أمرين :

١ - استمرار الاسهام فى تربية أخوته وفى ارضاء والده وبالتالى من أجل ذلك .

٢ - مع الزواج ، أو الانخار من أجل الزواج مستقبلاً .

... والأمران فى واقع الأمر غير متكافئين ، من حيث الضرورة وبالقياس الى الحاجة الاجتماعية .

فتربية الاخوة اسهام فى بناء قوتهم وفى اعدادهم اعداداً طيباً لحياة صالحة . وتركهم من غير مشاركة أخيهما الأكبر فى الانفاق عليهم من مرتبه بما يؤدى الى اضعافهم أو الى تخلفهم وحرمانهم من امكانيات قد لا تتوفر لهم بعد ضياع هذه الفرصة منهم . والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف . والاسلام لا يفاخر بالكثرة العددية الا اذا صاحبته قوة نوعية ... أى قوة فى الاعداد الانسانى وفى مواجهة تحدى مشاكل الحياة ، والأخص منها مشاكل الأعداء ولا تتم القوة النوعية الا بحسن التوجيه وسلامة الرعاية .

أما الزواج فليس ضرورة اجتماعية تحتم أن يلهث وراءه الانسان ، سعياً الى تحقيقه . بل له ظروف يجب أن تتهيأ أولاً كما يجب أن تكون قائمة بالفعل . ومنها القدرة على تحمل مسئولية الانفاق على الأسرة من جانب الزوج . ولا يكفى اطلاقاً لكى يكون الزواج ضرورة فى حياة الانسان أن يكون قد وصل الشخص الى البلوغ الجنسى أو أن يشتهى معاشره المرأة معاشره جنسية .

ولذا يطلب القرآن الكريم من الذين لا يتمكنون من الانفاق على الزوجه أن يرجئوا أمر الزواج حتى تحين استطاعتهم المالية وتمكنهم من بناء أسرة . يقول الله تعالى :

« وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله » ٠٠ (١)

---

(١) النور : ٢٣ .

••• فمع طلب ارجاء الزواج الى الميسرة ، امر الاسلام بالتعفف والبعد عن السقوط فى المعاشرة الجنسية غير الشرعية •

وإذا كان الفقهاء يرون أن الصوم فى فترات كفيل بضبط الغريزة الجنسية لدى البالغ •• فان علماء النفس يرون فى شغل الفراغ بالقراءة أو الدراسة والاعداد الذهني أو بالفنون الجميلة قدرة على صرف المراهقين مؤقتا عن التطلع الى مباشرة الحياة الجنسية •

والآن على افتراض أن الاثنى عشر جنيتها مصريا - التى هى مرتب السائل - تكفى لبناء أسرة منه ومن زوجة له •• فان تربية اخوته ومساعدة والده مقدمة على امر الزواج الخاص به •

وكما يبدو من السؤال فان الأثانية لم تكن متحركة فى تصرفات هذا الابن ، الا اذا كان ضعيفا فى شخصيته ، ولذا لم يستطع أن يخالف والده •

وعلى كل حال اذا لم يكن اثانيا فالأولى له الاستمرار فى المساهمة فى تربية اخوته • وإذا كان اثانيا ويغضى اثانيته ضعف شخصيته فالأولى له أيضا عدم الزواج فى الوقت الحاضر إذ من يدخل فى زيجة وقد تعود أن يقاد لا يسعد بالزواج ، لأنه ينتظر منه الآن أن يقود ، وهو لم يتدرب على القيادة باستقلال الشخصية بعد •

\*\*\*

٧٤ - والدة زوجى تقيم معى ، وإيراده قليل •• وهو ينفق عليها ويسد كل احتياجاتها ، ولها ابن آخر موظف ولا ينفق عليها ومع ذلك خصته بقطعة أرض تملكها وحرمت زوجى • فما الراى ؟

● ان الابن الذى تسال زوجته هذا السؤال - وهو ينفق على والدته ويسد حاجتها فى المعيشة يفعل ما يفعل ، لأنه يقوم بواجبه نحو والدته • وهو واجب لا ينتظر له جزاء ماديا من أحد : من والديه أو من غيرهما •

« يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل •

« وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » (١) •

وجاء فى وصف ما وهبه الله لذكريا من غلام - وهو يحيى - انه كان بارا بوالديه •

« ويرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا •• » (٢) •

وكان مما استنطق به الله سبحانه « عيسى عليه السلام » وهو صغير :  
قوله :

« قال : انى عبد الله ، اتانى الكتاب وجعلنى نبيا •• »

« وجعلنى مباركا أين ما كنت •• »

« واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا • »

« ويرا بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا •• » (٣) •

فهو واجب يؤديه نحو من عنيت به فى مراحل حياته المختلفة • والله وحده هو الذى سيجزيه على ذلك خير الجزاء •

— اما الابن الموظف الآخر الذى لا يشارك فى الانفاق على والدته شيئا فأميره لا ينبغى أن يؤثر على الواجب الذى يؤديه الابن الأول نحو والدته •• ثم هو متروك لله وحده •• ويكفى أن شعوره بالجانب الانسانى فى ذاته ضعيف فيمسك يده عن والدته وهى فى حاجة الى رعاية اولادها •• ثم ما فى يدها يحملها على تركه لها ••

اذ الوالدة لم تقم بتخصيص قطعة الأرض الى هذا الولد وهى مختارة وانما هناك شبه اكراه عليها منه يمارسه •• فربما يكون الابن الأصغر لم يتزوج بعد •• وربما دأب على تهديدها وارهابها وأصبحت تخشاه فى الوقت الذى تطمئن فيه الى قلب ابنها المتزوج ، والذى ينفق عليها الآن ••

ولو سئلت الوالدة عما فى قرارة نفسها وكانت تستطيع الاجابة فى صراحة لعرف انها تدعو الى الولد المتزوج وترضى عنه بكل جوارحها وهذا وزنه عندها

---

(١) البقرة : ٢١٥ •

(٢) مريم : ١٤ •

(٣) مريم : ٣٠ - ٣٢ •

وعند الناس اكثر بكثير من قطعة الأرض التي خصت بها صغيرها المدلل  
الأنانى .

والزوجة السائل لها أن تسر بزوجها فيما يفعله نحو والدته في غير  
مقابل امارة الوفاء والمروءة والرجولة .

وهذه صفات تسعد بها المرأة كزوجة في حياتها اكثر مما تسعد بالمال  
مع البخل أو عدم المروءة .

\*\*\*

٧٥ - لى اخ يحب زوجته جدا ، وهى فى غاية الكمال . ولكنه لم ينجب منها .  
وتعرف على فتاة جميلة وحميدة الاخلاق ، فهل الرغبة فى الانجاب  
تبيح الزواج الثانى ؟ .

● ان الزواج بثانية أو ثالثة فى نظر الاسلام رخصة . على معنى :  
انه يجوز للزوج أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فى حياة زوجية واحدة .  
واباحة ذلك يستهدف بها الاسلام تحمل المسئولية الزوجية فى مكن وصراحة  
ونتائج هذه المسئولية من الأولاد وحقوق المرأة ، كما يستهدف القضاء على  
الطفولة غير الشرعية ، ومنع الأمراض السرية ، والتقليل بقدر ما يمكن من  
مباشرة جريمة الزنا ، وهى جريمة اجتماعية رغم أن مباشرتها فردية .

واباحة الزواج بأكثر من واحدة لا تعنى إذن الحمل على تعدد الزوجات  
- اثنتين فأكثر - فضلا عن أن تعنى وجوب الجمع بأكثر من واحدة فى زيجة  
واحدة .

وهذه الاباحة - مهما كان الدافع الى مباشرتها : - أهو الرغبة فى  
انجاب الأولاد ، أم الشبق والرغبة الجنسية ، أو اعتلال صحة الزوجة الأولى  
مع الرغبة فى الاحتفاظ بها لسبب ما ، مقيدة أمام الله وأمام ضمير الزوج  
بإستطاعه « العدل » بين الزوجتين أو الزوجات .

و « العدل » هنا ليس قسمة عددية ولا توزيعا ماديا بين الزوجتين فأكثر .  
وانما هو أولا وبالذات يعود الى أحاسيس الزوج وعواطفه قبل من يجمع  
بينهن فى حياة زوجية واحدة . فان خشى عدم العدل بين الزوجة الأولى ومن  
يرغب فى أن يتزوج بها معها يجب الوقوف عند حد الزوجة الواحدة :

« فان خلفتم الا تعملوا فواحدة » (١) . وله بعد ذلك ان يطلق من يرغب في الزواج عليها ويتزوج بالآخرى . ولكنه عندئذ اذا كان طلاقه كحل ووسيلة فحسب ليتزوج بمن يريد - ولم يكن لتضرر بالمعاشرة الزوجية - يكون قد أتى بما يفضب الله ، وينطبق على تصرفه ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

والمسألة في نظر الاسلام هي مسألة « انسانية » : في الزواج بواحدة ، او في تعدد الزوجات ، او في الطلاق . والمعاشرة الزوجية اذن هي معاشرة انسانية يتمثل فيها التهذيب والبعد عن الايذاء والاضرار . والطلاق كذلك عمل انساني ، يلجأ اليه كحل لابعاد الضرر عن طرف أو عن الطرفين في علاقة قامت بينهما ، تستهدف المودة والسكنى والاطمئنان والرحمة في حياتهما معا .

وعلى ذلك : من يشعر بأنه سيبتعد عن « الروح الانسانية » في معاملة احدي زوجتيه أو زوجاته فلا يجوز له أن يجمع بين زوجتين فاكتر سواء اكان الدافع على الزواج بالآخرى هو انجاب الأولاد أو ما هو أكثر ضرورة في حياته من انجاب الأولاد .

والزوج وحده هو مقياس شعوره وتقديره في ذلك . والله بعد ذلك عليم بما تخفى الصدور ، ويجزى المحسن باحسانه والمسيء على اساءته . والأمر اذن ليس امر فتوى بالحل أو بالمنع .

\*\*\*

٧٦ - انى متزوج وسعيد بزوجتي . غير اننا نقيم بمنزل والداها لظروف العمل حين الزواج . وبعد مضي سنتين نتجت عن هذه الإقامة عدة مشاكل من جهة المعيشة . فاخذت سكنا آخر قريبا من عملي . الا ان الرجل وابناءه اصروا على عدم خروجها من منزلهم وفضلوا طلاقها . وتمسكت برأى فماذا اصنع ؟

● السيدة كريمة هذه الأسرة هي زوجتك بدون شك ، وانت زوجها بدون منازع والعلاقة بينكما تحددان انتما معا مصيرها . والبنت بعد ان تتزوج

---

(١) النساء : ٢ .

ترتبط برباط ثانوى بأسرتها الأولى ، ومنزلها هو منزل الزوجية أى المنزل الذى يسكن فيه الزوج . وعلى هذا النحو يكون الرجل بعد زواجه فى علاقته بأسرته الأولى ، ومنزله هو الذى يساكن فيه زوجته ، وليس هو منزل أسرته السابقة .

ان الزواج ينشئ أسرة جديدة ، ومقرا لهذه الأسرة ، كما ينشئ علاقة بين الزوجين ترجع علاقة كل منهما بأهله . وتدخّل الأسرتين : أسرة الزوجة وأسرة الزوج يجب أن يكون لصالح هذه الأسرة الجديدة ولصالح تنمية العلاقة بين الزوجين بحيث يحققان فيما بينهما حياة المودة والسكنى والرحمة ، كما هو هدف الزوجية :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) .

● هذه حقائق يجب أن تكون واضحة فى صفة العلاقة الزوجية . ولكن يجب أن يكون واضحا فيها أيضا مسلك الزوج نحو زوجته ، وهو مسلك من يتميز فى المعاملة اياها بفضل على معاملتها له . مسلك الانسان صاحب الاحسان والتهديب فى القول والتصرف . وهذا ما تريده الآية الكريمة :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم » (٢) .

فلاية اذ تنشد المساواة فى الحقوق والواجبات بين الزوجين تنتظر من الرجال أن تكون لهم ميزة فى معاملة أزواجهن فوق هذه المماثلة فى الحقوق والواجبات بينهم وبين بعضهم . وهى ميزة تعود الى التهديب والتسامح والحسنى فى المعاملة .

وبعد هذا وذاك : فربما يعود تشدد الأب وأولاده فى عدم مفادرتها منزلهم الى منزل الزوج . . الى سوء فى معاملة الزوج وقفوا عليه طسوال السننتين اللتين اقام فيهما معهم ، معاشرًا لزوجته فى منزلهم .

اذ ليس من الحكمة أن يطلب الأب طلاق ابنته من زوجها بعد سنتين فى

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

معاشرته الزوجية بسبب استقلاله فى السكن وانتقاله الى مسكن جديد ،  
أو بسبب مشاكل تافهة من المشاكل اليومية .

ولكن ربما كشفت اقامة الزوج فى منزل والد الزوجة مدة هاتين السنتين  
عن « بخل » الزوج ، أو عن انتهازيته واستغلاله لزوجته وأسرته ، أو عن عدم  
شعوره بالمسئولية الأسرية ، الأمر الذى يشير الى « شقاء » متزقّب فى حياة  
ابنتهم لو انتقلت مع زوجها فى المسكن الجديد وانفرد بها فى حياة واحدة .

والرأى هو اعادة الزوج لتقييم مسلكه ، والعزم على تغييره لصالح  
الأسرة الجديدة ، ثم محاولة اقناع أسرة الزوجة فى حديث هادىء وعن طريق  
بعض المعارف الذين يحوزون ثقته بتغيير سلوكه وموقفه فى الحياة .

★ ★ ★

٧٧ - ابنى طالب بالجامعة ، وعمره الآن ثلاث وعشرون سنة ، وقد شاغلته  
فتاة مجاورة لنا ، حتى تكرر رسوبه . وقد تقدم لى والدها طالبا  
اعلان خطبتيهما فرفضت بحجة : أن ابنى لا يزال طالبا ومشغولا  
بدراسته . فخرج الموالد الجار من عندى ليعقد القران بدون موافقتى ،  
وكتب على الولد ايصال امانة بمائتى جنيه ، وحرصه على عصيان  
أبيه . فما الرأى ؟ .

● ان ما اقدم عليه الجار - وهو والد الفتاة التى شاغلت الشاب  
الطالب وتسبب فى رسوبه - يعتبر عملية تفرير بشاب لم يزل فى دور تكوينه  
بعد ، كما يعتبر مأساة بالنسبة لأسرته وخيبة أمل مع ذلك لوالده بوجه خاص :

فحمل الشاب الذى لم يتخرج بعد ولم يته دراسته العالية ، على أن  
يباشر مسئولية الزوجية ومسئولية أسرة جديدة من غير اعداد لهذه المسئولية،  
زج به فى مجال لا يستطيع الحركة فيه من غير خطر يتهدهه سواء : فى النفقة  
على نفسه أو عليه وزوجه وولده فى المستقبل القريب ، أو فى استكمال  
الدراسة والتفرغ لها .

وان كان والد الزوجة سينفق الآن عليه وعلى زوجه بقبوله فى أسرته  
مؤقتا فان ذلك سيولد فى نفس هذا الشاب الطالب الشعور بالحاجة الى  
الغير وعدم التدرب على مباشرة مسئوليته . وهذا نقص من غير شك فى  
اعداد الطالب .

على انه ليس هناك ضمان لهذا الطالب الذي رسب عدة مرات بسبب انشغاله بفتاته أن يجتاز المرحلة الأخيرة في الدراسة . ولو فرض وأنه اجتازها فسيظل الى حين بعد تخرجه ومباشرته وظيفه ما فى كنف والد زوجته ، حتى يستطيع الاستقلال فى المعيشة الزوجية .

وفى هذه الفترة كلها سيظل يجول بخاطره احساس غامض نحو أسرته : والده ووالدته وأخواته . وسيزداد هذا الاحساس النفسى الغامض كلما مر الوقت على زواجه وفترا انفعاله العاطفى نحو زوجته . وهو احساس يقوم على عدم الوفاء لأسرته من جانب وعلى اللقاء اللوم فى ذلك على والد الزوجة من جانب آخر ، بحمله على الانفصال من والده . ولا تعلم عاقبة هذا الاحساس المظلم فى نفس هذا الشاب . ولكن ظواهره على الأقل ستبدو فى كتابته وتشاؤمه مرة ، وفى ميله الى الانتقام فى صورة ما مرة أخرى ، وفى احتكاكه فى العلاقة الزوجية مرة ثالثة .

انه شاب قد تجمد تطوره الداخلى باغتصابه واغلاق مسالك التطور عليه فى زيجة سريعة ومبكرة ، انه شاب قد وقف دون مسؤوليته كرجل فى الحياة ، وقطعت عليه علاقاته بأسرته الأولى ، وقيدت حركته بتصرف انسان غريب عنه ، وهو والد زوجته .

وكثيرا ما تكون خاتمة هذه العملية فى التفرير بعيدة عن الاستقرار ، او بعيدة عن النتائج المقدرة اصلا من جانب اهل الزوجة ، وهو سعادة البنت وسعادة اهلها .

● أما والده فستكون خيبة الأمل له كبيرة . وبالأخص اذا كان الشاب هو الموحيد أو أكبر اولاده فى الأسرة . فالعادة أن مثل هذا الوالد بعد اللحظات التى تمر على ولده فى حياته الدراسية الى أن يتخرج ويلتحق بعمل ما . وعندئذ تكون فرصته الكبرى : أن يشارك فى تأهيله وتكوين أسرة جديدة له ، تكون خلفا له ولأسرته من بعد . فاذا وجد هذا الأمل ينهار دفعة واحدة ويتصرف أجنبى عنه فى مستقبل ابنه بغير رضاه ، فان وقع ذلك نفسيا عليه ليس بالأمر الهين . وربما يصاب بسبب ذلك بعلقة تقضى عليه . وان لم يصب بمثل هذه العلة فالقلق يسيطر على حياته والتشاؤم يملك عليه أمر نفسه ، وينعكس ذلك كله على أسرته وأفرادها .

والرأى : أن هذا العمل وان كان فى أغلب الأحيان سيعود بالضرر على الجار ، فهو مصدر ضرر قطعا على الطالب الشاب ووالده وأسرته . وقد نهى

الاسلام على الضرر والضر ، اى عن الحاق الاذى المعنوى أو المادى بالذات  
أو بذات أخرى .

\*\*\*

٧٨ - باعت زوجتى ميراثها من ابيها واشترت بدلا منه فدانا عند ابي من  
أربعة اعوام ، وللاّن لم يعطها شيئا من ايراد الفدان . وكلما طالبته  
يغضب ويدعو على . فما الحكم ؟

● اولا : دعاء الوالد لا يستجاب لأنه معتد على حق غيره ، مهما كانت  
صلة القربى بينه وبين غيره هذا .

ثانيا : لا يحق له أن يغضب إذا طالبه الزوج - السائل هنا - بحق زوجته  
فى الانتفاع بما اشترت من ارض . لأن الزوجة حرة فى مالها ولا يحد من  
حريتها تزوجها بابنه .

ثالثا : يجب على الزوج السائل أن يراجع نفسه فى علاقته مع والده ،  
فربما يكون الوالد فى حاجة الى المساعدة ماديا ، وهو يظن أو يعتقد : أن  
انتفاعه بأرض الزوجة تحت يده صورة من صور المساعدة المادية من قبل  
ولده ، الذى هو زوجها . وعندئذ : عليه أن يدفع هو - وليس والده - ايجار  
الفدان الى زوجته اذ أن المساعدة المادية ، كحسن المعاملة الأدبية ، من صور  
الاحسان المطلوبة للوالدين قبل ابنائهم فى قوله تعالى :

« واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا » (١) .

وعلى أية حال : الزوج حسن المعاشرة والخلق لا يجرى والده أو والدته  
فى علاقة أى منهما بزوجه ، ولا يعرض بالتالى زوجته لأن ينظر اليها على  
أنها سبب فى بعض متاعب الأسرة .

وربما يريد السائل بسؤاله هذا أن يحمل والده على دفع ايجار الفدان  
له أو لزوجته . لأنه واضح : أن ليس للوالد حق فى حجب الايجار وعدم  
دفعه . ولكن الوالد لو اكره - بهذا الطريق على الدفع - فإن المشكلة بينه  
وبين ولده لا تحد ، طالما هو فى حاجة الى المساعدة المادية وابنه لا يتقدم بها

---

(١) النساء : ٣٦ .

اليه . واذن أولى بالولد - وهو الزوج السائل - أن ينظر الى الموضوع نظرة هادئة يتذكر فيها مدى طفولته وما عاناه والده في تربيته واعداده حتى تزوج ، وربما أنجب الآن . وسيجد من اليسر بمكان أن يعيد نظرة الاحترام الى والده ، بعد أن يكون هيا نفسه للمساعدة المادية اللازمة في رنسة وعطف وفي طلب الدعاء منه له ولأسرته وأبنائه .

ثم عليه في الوقت نفسه أن يحافظ على علاقة زوجته بوالديه ويصونها من التعرض للآزمات بسبب أو بأخر ، حتى تكون أسرته بالنسبة لوالديه مصدر هناة واطمئنان .

ولا يمكن للزوج السائل هنا - وهو الولد - أن يتعلل بعدم الاستطاعة بالقيام بالمساعدة المادية لوالده ، بأية علة ، لأن « القناعة » لو طبقها الانسان في حياته لكان ذا ثراء ذاتي لا ينفد .

\*\*\*

٧٩ - طلقت امرأتى لتركها الصلاة ، بعد ما أنجبت منها طفلين . وعندما أذهب لاعطاء اولادى نفقتهم أجدهم في حالة سيئة . فعلى من يقع الذنب ؟

● نعم : ان الصلاة عبادة يهتم بها الاسلام أكبر اهتمام - لا لأنها عنوان المسلم ، ولكن لأنها تصفى النفس وتصلها بالله طوال الحياة اليومية . وعن طريق صفاء النفس والصلة بالله تكون استقامة المصلى في سلوكه . وفي علاقته بغيره ، وفي أداء واجبه نحو نفسه وأسرته وأمته .

ووراء ذلك فأنها تحمل على الصبر واجتياز الآزمات والشدائد - لأن الوقوف بين يدي الله خمس مرات في اليوم لا يدع أمام نفس المصلى سبيلا الى اليأس والفرار من هموم الحياة . وإنما على العكس : في كل مرة من المرات الخمس في اليوم يقوى الأمل ويزداد قوة في التغلب على العقبات والصعاب .

ولهذه الأهمية للصلاة يوجه القرآن الكريم رسول الله عليه السلام النصيح بأن يامر أهله وأمته بالصلاة وبالمداومة عليها ، كي يحقق نتائجها في الحياة الدنيا والآخرة على السواء ، إذ يقول :

« وأمر اهلك بالصلاة ،

« واصطبر ( أى دوام ) عليها ،

« لا نسالك رزقا ، نحن نرزقك ،

« والمعاقبة للتقوى » (١) .

ويقول فى شأن الاستعانة بالصلاة فى اجتياز الأزمات النفسية والمادية  
أيضا : « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين » (٢) .

••• إذ أنها الطريق المفتوح الى الله جلّت قدرته .

فإذا قدر الزوج قيمة الصلاة فى حياة زوجته وحياة أسرته وفى تربية  
أولاده فإنما يقدرها عن ايمان بأثرها فى الاستقامة ، وفى الترابط ، وفى  
الترجيه السليم .

ولكن لم يكن الطلاق هو الوسيلة الوحيدة ، أو المتعنية ، لمباشرة الزوجة  
أداء الصلاة . وبالأخص بعد ما أنجب منها ولدين . وإنما كان يمكن أن يكون  
الولدان هما الوسيلة فى حمل الزوجة على أداء هذه العبادة الأساسية . على  
معنى : أنه كان يمكن للوالد أن يتخذ من المناقشة فى حسن تربية الولدين  
أقناع الزوجة بالصلاة وأدائها ، لتكون قدوة حسنة لهما . ولا شك أنه يهتم  
الزوجة كأم أن ترى أولادها على صورة مهذبة فى السلوك ، وأن تراهم كذلك  
يوفرون لجدية الحياة فى المدرسة وفى المنزل وخارجه معظم نشاطهم العقلى  
والبدنى . فإذا اقتنعت بقيمة الصلاة فى حياة الأولاد فإنها لا تتردد فى حملهم  
عليها عن طريق القدوة العملية التى تأتى بها هى ، أكثر من نصحتهم  
ووعظهم .

وذنّب النقص فى الرعاية للولدين ، وحرمانهما الآن من غيبة « وجود »  
الأب فى جو حياتهما ، بجانب حنّام الأم .••• يعود الى ترك الصلاة من جانب  
الزوجة والطلاق من جانب الزوج . وكلا الأمرين يتصل « بالحمق » عند كل  
منهما . فحماقتهما وتجنبهما اختيار السبيل الهادىء المثمر لحل مشكلتهما هو  
الذى أدى الى حرمان الولدين من الرعاية الأبوية المشتركة .

\*\*\*

---

(١) طه : ١٣٢ .

(٢) البقرة : ٤٥ .

٨٠ - كيف أخلص لوالدي إخلاصاً يحببني ويقريني إلى الله ؟  
وكيف أكسب رضاہ ؟

● السبيل إلى محبة الله ، والتقرب منه ، وكسب رضاہ في معاملة الوالدين هو أن يتبع الإنسان النصيح فيما جاء في قوله تعالى :

« وقضى ربك :

« ألا تعبدوا إلا إياه ،

« وبالوالدين إحساناً :

« أما يبلغن عندك الكبر ، أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ،

« ولا تنهرهما ،

« وقل لهما قولا كريما .

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ،

« وقل : رب ! ارحمهما ، كما ربياني صغيرا .

« ربكم أعلم بما في نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين

غفورا » (١) .

••••• فهنا تعبر هذه الآيات عن مبدأ أساسي في معاملة الوالد أو الوالدة ، وهو مبدأ الاحسان -

والاحسان مفهوم جاء ذكره في القرآن عندما يقصد إلى المعاملة الانسانية الكريمة ، التي ترتفع فوق تبادل المنفعة ، وفوق العطاء والأخذ ، وفوق انتظار الجزاء والثواب ، وفوق العدل والتوازن .

والاحسان في معاملة الوالدين مطلوب في كل مرحلة من مراحل حياتهما . وقد شرحت هذه الآيات هنا في مرحلة الشيخوخة والكبر ، بما هو أسمى من توفير الغذاء والكساء لهما ، وأرفع من الجانب المادي في جملته .

---

(١) الاسراء : ٢٣ - ٢٥ .

تعدت هذا الجانب المادى الى المعاملة المهذبة التى تنطنوى على الانسانية فى مستواها الرفيع : وكل ما ذكرته من النهى عن زجرهما والضيق بهما فى أية لحظة من لحظات حياتهما ، ومن الأمر بالقول المهذب فى التخاطب معهما ، ويطاعتهما الناشئة عن عطف حورهما ورحمة بهما ٠٠٠ كل ذلك يصور نموذجا من نماذج الاحسان قبلهما .

ثم تعقب هذه الآيات بأن الله يعلم ما فى نفوس الأبناء على حقيقته ، وانه يغفر للمصالحين منهم ما كان لهم من جموح فيما مضى فى معاملة آبائهم ، ان عادوا الى الطريق السوى فى معاملتهم ، وهو طريق الاحسان ٠٠٠ ليؤكد لهم الاسلام مطلوبه من وجوب الاحسان الى الوالدين ، احسانا صادرا عن محبة لهما ، وعطف عليهما ، واعتراف بفضلهما عليهما فى صغرهم وفى سنى حياتهم التى كانوا يحتاجون فيها الى الرعاية والتوجيه ، ليس عن نفاق ورغبة فى تفادى النقد لهم من الآخرين ، وتجنب اللوم من غيرهم ، ان بدت معاملتهم لآبائهم مكشوفة على حقيقتها .

● ومع ما يذكره القرآن هنا من وجوب توفير الأبناء الاحسان للوالدين فى قولهم ، وعملهم ومشاعرهم الداخلية النفسية ، وطاقاتهم المنيقة من العطف والحنان عليهما والرحمة بهما ٠٠٠ فان هناك فى الوجود - فى دائرة الطاعة - قبل الوالدين من هو أعز منهما ، ومن تكون طاعته أكثر اتباعا وأوجب من طاعة الوالدين ، وهو الله تعالى ، ان تعارض ما يدعوان اليه مع ما يدعو هو إليه جل جلاله :

« وانجاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » (١) .

٠٠٠ فهنا اذا حاول الوالدان ، أحدهما أو كلاهما ، حمل الأبناء على الاعتقاد بالشرك بالله - فضلا عن حملهم على الكفر والالحاد به - فلا تجب طاعتها ، لأن الاعتقاد بالشرك بالله من شأنه ان يوجه الانسان الى قبول المهانة والمذلة ، باعتماده على ما يصلح فى الوجود للاعتماد والتوكل عليه . وبذلك يفقد الانسان انسانيته التى كرمها الله ، واذا فقد الانسان - كابن - انسانيته فلا يكون أهلا لأن يصدر عنها فى معاملته لوالديه معاملة قائمة على الاحسان .

---

(١) لقمان : ١٥ .

وهكذا : دعوة الشرك بالله ، ومحاولة الوالدين حمل ابنائهما على الاعتقاد به تؤدي الى ان يفقد الأبناء مستوى الانسانية ، في نواتهم ، ومن ثم لا تكون لهم صلاحية عندئذ للقيام بما يجب عليهم نحو والديهم من معاملة انسانية كريمة مهذبة .

وهكذا : الآباء الذين يحملون ابنائهم على الشرك بالله يسيئون الى انفسهم من حيث لا يشعرون وقد اراد الله الاحسان اليهم .

اما حمل الآباء ابنائهم على الكفر بالله أو الالحاد به فانهم بهذا الحمل يوجهونهم في حياتهم توجيهها ماديا خالصا ، يستحيل معه ان يعترفوا بما ليس بمادى ، وبما لا يقوم على تبادل المنفعة المادية . وهذا معناه لا يعترفون بقيمة ولا يمثل عليا في الحياة . ومعاملة الوالدين بالحسنى - أى بدون مقابل مادية - فى مقدمة القيم والمثل العليا الانسانية .

ومن أجل هذا وذاك لا تقبل طاعة الوالدين - فى نظر الاسلام - من قبل الآباء ، ان هم دعوه الى الشرك بالله أو الكفر والالحاد به ، فكل من الشرك بالله والكفر به يؤدي الى انكار المعروف ، وانكار المستوى الانسانى الرفيع ، ولا يؤمن الا بما ينطوى على منفعة مادية لا ليس غير .

\*\*\*

٨١ - رجل رزق بابنتين : تعلمت واحدة ، وحرمت الأخرى من العلم بسبب ظروفهما ، ووالى المتعلمة بعطفه ، وحرمت الأخرى لانها لم تشرفه و « ينس منها » . فما حكم ذلك فى الدين ؟ .

● يجوز أن يكون هناك سبب آخر وراء « التعليم » يحمل الوالد على أن يؤثر بعطفه المتعلمة دون الأخرى التى لم يكن لها حظ كاف من المعرفة مثل شقيقتها . يجوز أن يكون هناك اختلاف فى السلوك ، أو فى درجة الادراك والفهم ، أو فى الطباع والعادات . . . أو فى ما شاكل ذلك .

وهنا يكون الاختلاف فى « عطف » الوالد ناشئا فى الحقيقة عما يتمناه لأولاده . أى انه كان يتمنى أن تكون المتخلفة فى العطف لديه على غرار الأخرى التى تحوز أكبر قدر من تودده .

والا : فالاختلاف فى مستوى التعليم أو فى درجة المعرفة بين الأولاد لا ينبغى أن يحمل الوالد على الاختلاف فى توزيع العطف بينهم .

وعلى أية حال فالذى يطلبه الاسلام من أى أب هو أن لا يفتتن بأولاده ،  
جميعا أو ببعض منهم ، كما يفتتن صاحب المال بماله :

« إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده اجر عظيم » (١) .

وتحذير القرآن هنا للآباء بعدم الافتتان بالأولاد هو لمصلحة الآباء  
والأولاد معا . ويصدق الافتتان بايثار بعض الأولاد على بعض بالمودة والثناء  
أو بالرعاية والمال ، بشكل يحمل من أثره بذلك على التدليل أو الانحراف ،  
ويدفع من لم يؤثره على الاعوجاج فى السلوك ، والتهيؤ لارتكاب الجريمة ،  
أو على الأقل على التمرد على الصلات الأسرية . وهذا وذاك لا ينبغي أن  
يتسبب فيه والد يكن فى الأصل لأبنائه المحبة . ويتمنى لهم الخير ويرجو  
أن يكون حالهم فى الغد أحسن من حاله ماديا ومعنويا ، ولا يدخر وسعا فى  
تيسير أمر الحياة عليهم .

فايثار البعض على البعض من الأولاد بشكل ملحوظ هو توجيه سىء  
للأولاد جميعا وخطأ فى بناء الأسرة يؤدي حتما الى انهيارها . وأول من ينهاز  
من أعضائها هو قيمتها ، وهو : الوالد .

والاسلام لم يطالب الآباء بالعطف على أولادهم ، لأن ذلك مقرر فى  
الطبيعة البشرية بحكم ضرورة الغريزة فى حفظ البقاء والامتداد الانسانى .  
فلا يحتاج الأمر الى تأكيد أو توجيه . إنما الذى يطالب به الآباء هو عدم  
الاندفاع فى هذا اللطف للعواقب الوخيمة التى تترتب حتما على المبالغة فى  
تدليل الأبناء واتخاذهم أصناما يتوجهون اليها بالعبادة والقرايين .

على أن البنات بحكم تكوينها العاطفى يهزها ويهز كيانها ومستقبلها كما  
يهز تفكيرها وسلوكها أن ترى الوالد - وبالخصوص الوالد من الأبوين -  
يغض الطرف عنها ، فضلا عن أن يؤثر أختها بمزيد عطفه ومودته .

ولعل من حسن توجيه تلك البنات المتخلفة فى التعليم أن يحاول الوالد  
ضمها من جديد الى عطفه وحنانه ، ويتناسى ولو الى حين سبب تخلفها عن  
شقيقتها :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » (٢) .

\*\*\*

---

(١) التغابن : ١٥ .

(٢) البقرة : ٢٦٢ .

٨٢ - أبى مسن ، ويتعاطى المخدرات • وفى بعض الأحيان يطلب منى النقود لمساعدته فى شراء هذه المواد • وأنا صاحب أسرة ، ويضايقنى هذا الأمر جدا • وإذا رفضت طلبه يغضب على ، وغضب الوالدين من غضب الله • فماذا أصنع ؟

● يلاحظ فى كثير من الآيات أن القرآن الكريم فى وصاياه أو فى أوامره أو فى نواهيه يقرن الاحسان لى الوالدين بعبادة الله وحده ، فيقول :

« وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم •

» ووصينا الانسان بوالديه - حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين - أن اشكر لى ولوالديك ، الى المصير « (١) •

••• فيقرن توصية الانسان بوالديه وشكره لهما بطلب عدم الشرك بالله وشكره له على نعمة الايمان بالله وحده • كما يقرن فيما يأمر به هنا فيما تذكره هاتان الآياتان :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ،

• وبالوالدين احسانا « (٢) •

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ،

• وبالوالدين احسانا « (٣) •

يقرن الأمر بالاحسان الى الوالدين بالأمر بعبادة الله وحده ••• مما يدل على العناية الفائقة بحسن معاملة الوالدين وطلبها من أبنائهما • وقد يتعرض لتفصيل بعض جوانب هذه الرعاية على نحو ما تقول الآية :

« اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما •

(١) لقمان : ١٣ - ١٤ •

(٢) النساء : ٣٦ •

(٣) الاسراء : ٢٣ •

« واخفئ لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني  
صغيرا • ريمك أعلم بما في نفوسكم ، أن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين  
غفورا » (١) •

● ولكن طاعة الأولاد للوالدين – وليست معاملتهم اياهم – تقف عندما  
يأمرانهم بعبادة غير الله : « وانجاهدك ( في وصية لقمان لابنه حاكيا عن  
الله جل شانہ ) على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في  
الدنيا معروفًا ، واتبع سبيل من اناب الى » (٢) •

••• فهنا في مجال عبادة غير الله وحده يجب على الأولاد عدم طاعة  
والديهم ، ولكن تستمر معاملتهم لهما بالحسنى والمعروف ، كما يستمرون هم في  
اخذ الطريق السوي ، وهو عبادة الله وحده •

● وتعاطى والد السائل هنا للمخدرات هو مباشرة المنكر ، ياثم  
بمباشرتة ويعصى الله فيما يرضاه لعباده • يضاف الى مباشرة هذا المنكر  
ارهاق الولد في النفقات مما قد يضطره لأن يقتر على أسرته الخاصة به •

والرأى : ان مخالفة الولد هنا لرغبة والده وتخلفه عن شراء المخدرات  
له لا يستوجب غضب الله • بل على العكس يستوجب رضاه سبحانه وتعالى •  
هذا شيء • والشيء الآخر أن يستمر في معاملته بالحسنى والمعروف قولاً وفعلًا •  
ثم اذا أمكن ايداعه في مصحة يستشفى فيها من عادة تناول المخدرات يحسن  
الى نفسه والى والده والى أسرته ويرضى الله قطعًا •

\*\*\*

٨٣ – سيدة نقول : لى ولدان ربيتهما وعلمتهما ، واحدهما الآن مدرس ،  
والآخر مهندس • وزوجتهما باختين لتنسجم الأسرة • ولكنهما ابتعدا  
عنى ، واساءا الى واستمرا في جفائي ، استجابة لكيد نساءهما ، وانا  
عليهما غضبانة ، فما الحكم ؟

● قبل نقل رأى الاسلام هنا – وهو واضح تمام الوضوح في هذه  
المشكلة – يجب أن يتساءل الانسان : ألم تكن الام نفسها قد تسببت هي في

(١) الاسراء : ٢٣ – ٢٥ •

(٢) لقمان : ١٥ •

هذا الحرج لها ، وهو الحرج الناشئ - كما تقول - عن اساءة الولدين لها ، واستمرارهما في جفائها ؟

انها ربما لم تستطع أن تفهم : أن الابن بعد زواجه سينقل حتما بعضا من عواطفه التي كانت جميعها متمركزة قبل الزواج حول الام الى زوجته ثم الى من ينجب منها . وعدم استطاعتها ادراك ذلك يجعلها تقع في الحرج مع ولدها وزوجته معا . فقد توجه النقد واللوم - وغالبا يكون من وجهة نظرها الخاصة - الى زوجته ان هي تزينت لزوجها ، او قابلته بالحفاوة عند قدومه او ودعته في رجاء وأمل عند مغادرته المنزل . وقد تسرف في نقدها ولومها الى درجة تحمل الزوجة على النظرة الى الحياة الزوجية نظرة قاتمة او يائسة .

اذا كانت الام لم تستطع حتى الآن أن تكيف نفسها مع اللوضع الجديد : فتنمى لولديها وزوجتيهما السعادة في حياتهما الزوجية ، وتأخذ وضعها في الأسرة في الصف الثاني بدلا من الأول ، وتحاول من جاشيها أن تزيل أو تخفف اثر سوء التفاهم ان وقع بين ولديها وزوجتيهما بدلا من أن تزيعه . . . اذا لم تستطع أن تفعل ذلك حتى الآن فالنصح لها : أن تقوم بيه فورا دون أن تأسف على شيء . لأن قانون الحياة يحتم على من صعد اللي قمة جبل لايد أن ينزل يوما ما الى الوادي من جديد طوعا أو كرها . وعندئذ ستجد الرعاية من ولديها وزوجتيهما مضاعفة .

● لكن اذا كان ولداها يعاملانها هذه المعاملة السيئة التي تذكرها في سؤالها دون أن تكون سببا في تعقيد الحياة الزوجية عليهما - وبذلك قد خاب أملها فيهما وفيما ظنت أو اعتقدت أنه سيريد من انسجام الأسرة ، وهو اختيارها لشقيقتين كزوجتين لهما . . . فان هذا لا يعبر فقط عن نكران للجميل الذي قدمته الوالدة لهما . وهو السعي الى تعليمهما تعليما عاليا بحيث يشغل أحدهما الآن وظيفة مدرس والآخر وظيفة مهندس ، وكذلك المحاولة الى الربط بين الاثنتين في حياتهما الأسرية الجديدة بتزويجهما من شقيقتين . وانما يعبر بالاضافة الى ذلك عن فقد روح الانسانية التي طلبها الاسلام في معاملة الوالدين من أبنائهما ، والتي يشرحها القرآن الكريم فيما قصه هاتان الآيتان :

« وقضى ربك :

« الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما .

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (١) .

••• فجمع القرآن هنا بين أمرين تكاد تكون منزلتهما في الأهمية في نظرة واحدة بالنسبة للإنسان . جمع بين الحكم بعبادة الله وحده ، وبالإحسان إلى الوالدين . ذلك الإحسان الذي يتمثل في منع الإيذاء النفسى من قريب أو بعيد ، وبالعطف المصحوب بمائة الخلق ولين الجانب فى المعاملة ، وبالدعاء مع ذلك إلى الله بأن يجزيهما أحسن الجزاء لقاء ما قاما به فى تربية الابن فى صغره وأوقات ضعفه فى نشأته .

ان الذى يعامل والديه فى جفوة وغلظة أو فى نكران للجميل يتقرب أن يعامل مثل هذه المعاملة من أبنائه فيما بعد . وعندئذ يشقى بهم وبحياته أكثر مما شقى والداه به . لأنه سيتذكر أنه قد أساء معاملة والديه وهو تساء معاملته الآن فجمع فى حياته سوءين : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (٢) .

\*\*\*

٨٤ - أمي لها ولدان : أنا والأخ الأكبر مني . وأخى الأكبر قاطعها . ورغم الحاجة فى طلب معونته أو رؤيته لا يستجيب . وهى مريضة لا تقوم وتتحرك . وأنا أقوم بكل شئونها ، حتى استحمامها . وأطلع بالضرورة على عورتها .  
فهل هذا حرام ؟

● ان مقاطعة الابن - وبالأخص الابن الأكبر - لوالدته فى وقت هى فى حاجة ماسة إلى الرعاية بسبب مرضها وعدم استطاعتها الحركة . أمر يخالف مخالفة صريحة ما يأمر الله به سبحانه وتعالى من الإحسان للوالدين فى آيات عديدة من كتابه الكريم ، على نحو قوله فى سورة الاسراء :

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ،

« وبالوالدين إحسانا ، أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من

---

(١) الاسراء : ٢٣ - ٢٤

(٢) الشورى : ٤٠ .

الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا • ريكم اعلم بما فى نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا « (١) •

••• فهنا فى هذه الآيات الثلاث كان واضحا ما يجب على الأبناء قبل الوالدين من معاملة • فهى لا تقوم على الرعاية وحدها فى شئون الانفاق والتكفل بالحياة المعيشية المادية • وانما بالاضافة الى ذلك : رعاية الجانب الانسانى فى القول والسلوك نحوهما ، بحيث يشعران بمتعة الراحة النفسية فى كفالة أبنائهما ، وبأنهما الآن يقتطفان ثمار جهدهما فيما مضى فى تربية الأولاد وحضانتهم •

وان يقول القرآن الكريم فى الآية الثالثة : « ريكم اعلم بما فى نفوسكم » فيخبر برقابة الله جل شاناه. وياطلعه على ما تضمه نفوس الأبناء وتخفيه قبل الوالدين •• يقول ذلك لكى يؤكد عناية الله بشان الوالدين وتحقيق الاحسان فى مجال معاملتهما من الأبناء •

وليس هناك اشد جفاء وغلظة فى معاملة الوالدين من امتناع الولد الأكبر عن أن يستجيب لنداء والدته ولوضعها الصحى المتردى وتركها وشانها لأخيه الأصغر ، الذى تضطره ظروف رعايتها الى أن يطلع على عورتها عند استحمامها •

● وموقف الاسلام من اطلاع الابن على عورة امه هو فى الأصل موقف التحريم ، وان كان يجوز له أن يرى منها أكثر من الوجه والكفين • فتحريم الزواج بالأم - كما جاء فى قول الله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم » (٢) • جاء تكريما للأمهات وسترا لحرمتهن قيل أبائهن • ولا شك ان العورة فى مقدمة الحرمات بالنسبة للانسان •

ويكن اذا أصبح الاطلاع على عورة الأم من قبل الابن ضرورة تستوجبها صحة الأم ذاتها من جانب ، وعدم وجود أنثى ولو غير محرم تباشر خدمتها الداخلية من جانب آخر ، فان الاسلام لا يرى حظراً عندئذ : أن يطلع الابن على عورة أمه عندما يقوم بغسلها وتنظيفها ، وقاية لها من الرائحة الكريهة المنفرة او من بعض الأمراض التى يستتبعها عدم نظافة الجسم كالجرب أو الحكة مثلا •

(١) الاسراء : ٢٣ - ٢٥ •

(٢) النساء : ٢٣ •

وهنا تعظم مقاطعة الابن الأكبر لأمه في غضب الله عليه . فربما كان يمكن بالتعاون مع أخيه الأصغر أن يحولا دون اطلاق هذا الأخ على عورة أمه ، ويحفظا بذلك معا حرمة والدتهما عليها طوال حياتها .

والسائل - وهو الولد الأصغر - يطمئن الى ما يقوم به ازاء أمه الآن ، ويعتقد أن الله سيجنبه المكروه مستقبلا مع أولاده ، أن وجد له أولاد .

\*\*\*

٨٥ - يشتغل أبى بالأعمال الحرة ويقترب علينا بالمصروف مع انه موسر ، وأمى تحرضنى على اختلاس النقود منه . فما الحكم ؟

● من الناس من يستهدف المال لذاته ويحرص على جمعه اعتقادا منه انه سنده في الحياة . ويرتب على ذلك الشح في انفاقه ، حتى على نفسه وأسرته . وسعادته بالمال عندئذ هي في تكاثره وتمائه ، ولو بطريق غير انساني أو غير مشروع .

وهذا الموقف من المال يدل على انانية صاحبه ، ويدل كذلك على عدم ثقته بنفسه كإنسان له طاقات تمكنه من العمل والسعى في الحياة . ومثل هذا الانسان وبالأحرى هو انسان متواكل على المال . وماله مع الأسف لا يسنده عند الشدائد والأزمات كما يعتقد ، لأن زيادة الحرص عليه منه تجعله مترددا في انقاذ نفسه من تلك الأزمات والشدائد بدل المال ، وبذلك تفوت فرصة الانقاذ أو تكاد .

ثم موقفه هذا من المال - وهو موقف التقتير والشح - سيفسد عليه أسرته بعد ذلك اما بتفككها أو بزيادة أمر الحقد والضعف في نفوس أفرادها ، وبالأخص الأولاد من بينهم . . . على رب الأسرة مكتنز المال . ولا يستبعد أن تمارس الجريمة ، وربما جريمة قتل الأب نفسه في بداية الطريق إليها .

وهنا يكون المال سبيلا الى فساد الأسرة وتفككها على الأقل ، وسبيلا كذلك الى ضعف صاحبه أو الى قتله ، بدلا من أن يكون سبيل القوة والنجاح في الحياة إذا أحسن استخدامه ونظر اليه على أنه وسيلة وليس هدفا .

وحسن استخدام المال ترشد اليه مثل هذه الآيات :

١ - « ومن يوق شح نفسه ( بخل نفسه ) فأولئك هم المفلحون » (١) .

٢ - « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (٢) .

فهاتان الآيتان نهيئا عن الشح والبخل والتقتير . كما ارشدت الآية الثانية منهما الى طريق الوسط والاعتدال فى الانفاق .

••• ثم الأوجه المثمرة لانفاقه يشير اليها قوله تعالى :

« واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ،

« وبالوالدين احسانا ،

« وىذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار  
الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ،

« ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا . الذين يبخلون ويأمرون الناس  
بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ••• » (٣) .

فجعلت الآية صاحب القربى - ويدخل الولد فى مفهومه دخولا أوليا ومؤكدا - بجانب الوالدين فى مطلوب المعاملة الحسنة الكريمة من الآباء . وكشريط لتحقيق المعاملة الحسنة سد حاجاتهم المادية . ولذا جاء قول الله فى التعقيب على هذا المطلوب « ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا . الذين يبخلون ، ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله » . مما يبرز أن البخل فى انفاق المال يبعد المعاملة على أن تكون حسنة ، كما يبعد البخل نفسه عن محبة الله ورضاه .

أما العمل يوصية الوالدة ، وهى سرقة مال الأب فهو حل جريمة بارتكاب جريمة أخرى . وإذا كان بخل الوالد ربما يكون سببا فى فساد الولد

---

(١) الحشر : ٩ .

(٢) الاسراء : ٢٩ .

(٣) النساء : ٣٦ - ٣٧ .

فان العمل هنا بوصية الوالدة سيكون سببا على سبيل القطع في الفساد  
بارتكاب الجرائم • اذ الذي يبدأ بالسرقة في سلوكه لا يعلم متى تنتهي سلسلة  
الجريمة لديه •

والعمل الأمثل هو محاولة اقناع الوالد بترك الشح في الإنفاق اما عن  
طريق الوالدة أو الأقربين • والا فقانون الأحوال الشخصية يفصل بالعدل  
ان رفع الأمر الى القضاء •

\*\*\*

٨٦ - انى متزوج من ابنة عمى ويحدث بيننا بعض المشاكل البسيطة  
والخلافات العادية • وتحضر والدتها لتأخذها عنده ، مع عدم رغبة  
امراتى فى ذلك • ثم تنتهز فرصة غيابى وتأخذها ، ويزيد الخلاف •  
فهل اطلق امراتى من أجل تدخل حماتى ؟

● الطلاق شرع فى الاسلام لدفع الضرر عن أحد من الزوجين أو عن  
كليهما فى المعاشرة الزوجية • وهو آخر حل يلجأ اليه الزوج • وليست والدته  
الزوجة طرفا فى العلاقة الزوجية • بل هى أجنبية عن هذه العلاقة وان كانت  
لها صلة رحم بابنتها • وتطليق الزوجة بسبب المضايقات التى تسببها والدتها  
دون رضاه ابنتها يعتبر اعتداء عليها • واذا كان الطلاق المشروع - وهو  
الطلاق لدفع الضرر - أبغض الحلال الى الله ، فانه الآن أشد بغضا وكراهية  
له تعالى •

وامر الطلاق ليس هينا الى حد أن يجعل حلا لجميع المشاكل والمضايقات  
التي تعترض الزوج بسبب ما يتصل بعلاقته الزوجية • ان فصح عرى الزوجية  
وهدم كيان الأسرة ليس السبيل الى التخلص من تدخل الحماية بسبب حمقها  
فى التعبير عن عطفها وحنوها على ابنتها • فهدم كيان الأسرة أكبر بكثير  
وأعمق أثرا فى حياة اثنين ارتبطا برباط الله وكشف كل منهما سره للآخر وأملا  
فى حياة سعيدة مشتركة ، من حمق الحماية وسوء اختيارها ما تعبر به عن  
حبها لابنتها •

فمن يلجأ هنا الى الطلاق كحل لمشكلته هذه شأنه شأن ذلك «الدب»  
الذى قضى على حياة صديقه بسبب مطاردته ذبابة تطفلت وأقت بنفسها على  
وجهه •

والتعاون بين الزوجة والزوج هنا كفيل بوضع والدتها في الخط المستقيم في معاملتها لها . ويجب أن نعرف هنا في شرقنا الاسلامي : أن الترابط بين أفراد الأسرة الواحدة في قوته وان كان له اثر ايجابي في حياة هؤلاء الأفراد الا أنه قد يكون له اثر سلبي كذلك ، اذا فهمت العلاقة الأسرية على غير وجهها الصحيح . فالأم قد لا تستطيع التفرد في موقفها من ابنتها أو من ابنها قبل الزواج ، وبعده . لا تستطيع أن تعطى الفرصة لابنتها أو ابنها اذا دخل أى منهما في علاقة زوجية ، للتجربة وحل المشاكل الطارئة في حياتهما الزوجية .

والحياة الزوجية من طبيعتها ان تنشأ فيها خلافات . لأن طبيعة الزوجة وطبيعة الزوج كفرد من أفراد الانسان تختلف - قليلا أو كثيرا - من طبيعة الآخر . على الأقل في التنشئة والعادات . ومن شأن هذا الاختلاف وقسوع احتكاك أو نزاع في الحياة الزوجية . ولكن هذا الاحتكاك أو هذا النزاع يجب أن لا يؤدي الى الانفصال بينهما ، طالما لم يكن عميقا الى درجة لا يرجى معها اللينام يوما من الأيام . والاقاى فرد من أفراد الانسان لا يستطيع أن يعيش مع فرد آخر في المجتمع لحظة أو لحظات ، لأنه حتما توجد بين طبيعتهما سبب أو أسباب للخلاف ، بحكم الفروق الفردية في الطباع البشرية .

ليكن الصبر رائد الزوج هنا ، ولتكن لباقتة في معاملة حماته خير سبيل لانهاء حديها المتطرف على ابنتها ، وليقدم لها من الاحترام ما يشعرها بأنه انضم الى ابنتها في الحب لها ، بدلا من أن يشعرها بأنه قد انتزعها من حياتها . ان الحمأة ليست شريرة ، ولكنها فقط قد تسيء التعبير عن عطفها الانساني .

ولا تزعج زوجتك بكثرة الحديث عن سوء معاملة والدتها . فهي امها على كل حال . وبذلك تكسب الاثنتين معا .

\*\*\*

٨٧ - أقوم لزوجتي وأولادى بكل ما يلزم ، ولكن عندما يحدث سوء تفاهم بينى وبين زوجتي تنسى الخير وتذكرنى بأشياء تافهة حدثت منذ سنوات ، وتثور وتهجرنى في الفراش ، وتبيت مع أولادها ، الأمر الذى يضطرنى الى مصالحتها حرصا على جمع الأسرة وعدم تشقيتها ، رغم أنها تكون المخطئة . فما الحكم ؟

① ربما ما يؤديه الزوج هنا لزوجته وأولاده - مما يصفه بكل ما يلزم - هو الأكل والشرب والكسوة . أى هو الجانب المادى . وربما هو يقيم هذا

الجانب المادى ويبالغ فى قيمته ، ويمن به فى الحديث والمناقشة مع زوجته وأمام أولاده . ويعتقد ، بسبب غلوه فى تقييم هذا الجانب المادى ، ان هذا الجانب هو كل شيء فى الحياة الزوجية ، وأنه يجب على الزوجة من أجل ذلك ان تسلس قيادها له ، ولو كان فى الرأى الذى يراه فى الحياة وراء العلاقة معها .

وليس اشد ضررا على العلاقة بين انسان وانسان - فضلا عن العلاقة بين الزوج وزوجه - من الحديث عن العطاء أو عن الانفاق من جانب المعطى أو المنفق . لأن الحديث عنه ينطوى على إيذاء نفسى . هو : اشعار من ينتفع بالعطاء أو بالاتفاق بأنه صاحب حاجة الى من يعطيه أو ينفق عليه . واشعار صاحب الحاجة بحاجته ، فيه اذلال ومهانة له . والنفس التى لم تتعود السؤال بكبر عليها ان تنل ، وإن تنكر بحاجتها ، ولو كانت هذه الحاجة من الأب أو الزوج .

ومن أجل حرمة العلاقة الانسانية والحرص على كرامة الانسان - ولو كان صاحب حاجة فى واقع الأمر - ينهى القرآن الكريم عن « المن » وما يصحبه من اذى نفسى ، فى قوله : « يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » (١) . فجعل المن مبطلا للعطاء فى غير مقابل ، ومذهبا بكل ما له من قيمة مادية . ولذا يؤثر على العطاء الذى يرافقه المن والأذى النفسى ، قول المعروف واللفظ المهذب الذى يحمل تكريم الانسان لانسانيته ، ويحفظ عليه احساسه الانسانى : « قول معروف ، ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » (٢) .

● وعلاقة الزوج بزوجه ، كما تفرض عليه الانفاق فى غير من وأذى نفسى . . أى كما تفرض على الزوج قيامه بنفقات الأكل والشرب والكسوة لزوجته ، ولأولاده الصغار ان كان له أولاد صغار دون الرشد ، تفرض عليه قبل ذلك وفى الدرجة الاولى : المعاملة الكريمة المهذبة ، وهى المعاملة التى تبعد كل أذى نفسى لها . . التى تبعد ما يشعرها بقيمة أدنى من قيمته ، فضلا عما يشعرها بالخذلة والمهانة .

والقرآن إذ يقول : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » (٣) . فى شأن المطلقات اللاتى يردهن أزواجهن اثناء العدة ، فإنه يبنى ان يذكر الزوج بما يجب عليه فى علاقته بزوجه .

- 
- (١) البقرة : ٢٦٤ .
  - (٢) البقرة : ٢٦٣ .
  - (٣) البقرة : ٢٢٨ .

وما يجب عليه ليست فقط : المساواة فى الواجبات والحقوق - وهى واجبات ليست متماثلة فى نوعها ، وان تساوت فى تقابل بعضها لبعض - وانما زيادة فيما يجب على الزوج نحو زوجته ، وفيما يحق للزوجة على زوجها .

هذه الزيادة فى واجب الزوج ، وهى « الدرجة » التى اشير اليها الآن بقوله : « وللرجال عليهن درجة » . هذه الزيادة هى الاحسان والتهذيب فى المعاملة للزوجة . هى المحافظة على شعورها الانسانى وعلى كرامتها الانسانية ، والحرص على تجنبها الاذى النفسى فى اية صورة من صور الايذاء النفسى والمعنوى . وفى مقدمة تجنب الايذاء النفسى : عدم المن بالقيام بواجب الاكل والشرب والكسوة .

● ان الزوجة لا تهجر زوجها فى فراشه الا اذا اذاما : بعدم نظافة بدنه او ثيابه ، او بعاداته السيئة المنفرة ، او بكثرة منه عليها بالانفاق المادى او باستغلاله عليها بسبب حاجتها اليه فى منزل الزوجية .

ان المرأة اكثر طواعية لمن يشعرها بذاتيتها وكرامتها . ولذا قد تكون كثرة الثناء عليها سببا فى زلتها وخطيئتها .

فليراجع المسائل نفسه وتصرفاته ، ثم ليسلك ما يطلبه الاسلام من الرجل قبل زوجته . وانئذ سيجد السكنى والمودة عندها .

\*\*\*

٨٨ - رجل يقول : تزوجت من سبع سنوات ولم انجب اولادا ، وصبرت ، عازما على عدم السعى والبحث عن السبب ، متمسكا بقول الله تعالى : « لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء . يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور . او يزوجهم ذكرا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما » (١) .

ولكن اقاربنى يلحون فى العلاج لدى الاطباء . وانا لست مستريحا لهذا . فما الراى ؟

● ان ارادة الله - جلت قدرته - التى تتمثل فى ان يهب من يشاء الذكور او الاناث ، او يهب من يشاء النوعين منهما معا ، او يكف عنم يشاء ، فلا يهبه

(١) الشورى : ٥٠ .

ولدا اطلاقا ، ويجعله غير منجب للأولاد ٠٠ هذه الإرادة هي الإرادة أنتى تتمثل أيضا فى أن يكون أنجاب الأولاد عامة بمعاونة المختصين فى الطب ٠

فالطبيب فيما يفعله ، ان قدر له النجاح ، لا يخلق ولدا - ذكرا ، أو أنثى - وإنما يعين فقط على ازالة العقبات والموانع العضوية التى تحول دون أنجاب الولد من اختلاط ما للرجل وما للمرأة : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ( أى من اخلاط مما للرجل والمرأة معا ) ، ( ١ ) ٠

والطبيب بهذا لا يتدخل فى ارادة الله ، وإنما يساعد - لا غير - على تنفيذ هذه الإرادة لله فى خلقه ، وفى استمرار نسل الانسان فى حياته على الأرض ٠

● ولكن الطبيب الذى يساعد على تنفيذ ارادة الله ، هو ذلك الذى يؤمن بالله ، وهو الأمين على اسرار الله فى خلقه ، والحريص على القداسة والطهر فى علاقة الزوج بزوجه ، وعلى أن يكون نسلهما ناشئا من علاقة بعضهما ببعض الشرعية ، وليس من تدخل أجنبى ثالث بينهما ، كما هو : شأن التلقيح الصناعى من غير ماء الزوج ٠

ولذا يشترط فقهاء المسلمين فى الأطباء الذين تعتمد خبرتهم بعد أن يجوزونها : أن يكونوا من المؤمنين بالله ، وليسوا من الملحدين أو الكافرين ، وأن يكونوا أمناء - ليس فى معاملتهم فحسب ، وإنما فى خبرتهم مع ذلك - ثم أيضا ممن عرفوا كذلك بين الناس بالخبرة والأمانة ٠

● والدين اذا كان يرى : أن الكون كله لله ، والتدبير والفعل فيه لله ، فما لله فى هذا الكون من : خلق ، وتدبير ، وفعل ، يتمثل فى قوانين عامة للمجتمعات فى قيامها وسقوطها ، وللإنسان فى تصرفاته وأفعاله ٠ فالمجتمعات التى تمعن فى الترف واللذات والمتع المادية ولا تراقب حق الله فيها ، وهو حق الضعفاء والمحرومين فى الحياة ٠ هى مجتمعات قدر لها - حسب ارادة الله - السقوط اليوم أو غدا ٠ لأن الله فى ارادته التى تتمثل فى قانون عام هنا ، لا يبقى على مجتمع بشرى يعيث فى الأرض فسادا ، بسبب ترفه وازدهار حياة كبرائه ورؤسائه ، الاقتصادية : « واذا أردنا أن نهلك قرية ( أى مجتمعا ) ، أمرنا مترفيها ( أى أمرنا فيها المترفين ) ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » ( ٢ ) ٠

(١) الانسان : ٢ ٠

(٢) الاسراء : ١٦ ٠

وكذلك الانسان : له مشيئة فى التصرفات فى دائرته وفى المحيط الذى يعيش فيه . ولكنه مرتبط فى هذه التصرفات بقانون عام يمثل ارادة الله فى حياة الانسان . هذا القانون هو : أن الله لا يعين أحدا من الناس على ما يباشره من عمل ، ولا ينصره على عدو نال - أو ينال منه - الا اذا كان هو مستقيما فيما يباشره من عمل . واستقامة الانسان هى فى اتباع هداية الله . وهداية الله : أن لا يكون الانسان لنفسه فحسب ، وانما لذاته ولغيره . ومعنى ذلك : أن من يتبع هداية الله لا يظلم غيره ، ولا يعتدى عليه ، ولا ينتهك حرماته . وهنا كان الضمان له فيما تقول الآية : « ألا ان أولياء الله ( وهم المتبعون لهدايته والمتوكلون عليه ) لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ( أى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ) ، ( ١ ) .

● وهنا يتضح الآن : أن انجاب الأطفال يخضع لارادة الله العامة . وفعل الطبيب هو داخل هذه الارادة العامة ، وليس خارجا عنها ، ولا مناوئا لها .

والرأى اذن : أخذ مشورة الطبيب المختص والأمين . وليس هناك أى حرج فى هذا . لأنه من ارادة الله .

\* \* \*

٨٩ - تزوجت من ثمانية أعوام من احدى قريباتى ، ولم تنجب الى الآن ، رغم علاجها . ورغبة منى فى الاولاد تزوجت باخرى واحببتها حبا شديدا .

وقد حدث خلاف بين الزوجتين ، خرجت بعده الجديدة الى بيت أهلها ، الذين رفضوا : رجوعها ، الا بعد طلاق الاولى . وانا أحب الجديدة جدا ، ولا أستطيع طلاقها . والتوفيق بينهما مستحيل . فما رأى الدين ؟

● يبدو فى هذا السؤال : أن السائل ليس متضررا من عشرة زوجته الاولى ، التى هى قرييته ، وان كان يحب الثانية حبا شديدا . كما يبدو : أن الزوجة الاولى ليست متضررة من عشرة زوجها ، وان اختلفت أو تنازعت مع الزوجة الجديدة . وطلاق الزوج لزوجته شرع للتخلص من ضرر المعاشرة الزوجية ، سواء : اكان المتضرر بهذه المعاشرة أحد الزوجين ، أو كلاهما . واذ يقول الله تعالى : « الطلاق مرتان ، فامسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان » ( ٢ ) .

( ١ ) يونس : ٦٢ .

( ٢ ) البقرة : ٢٢٩ .

يشير الى الضرر بالمعاشرة الزوجية ، كدافع الى الطلاق :

**فأولا :** جعل الطلاق مرة بعد مرة ، فى قوله : « الطلاق مرتان » •• يعبر عن : أنه علاج لمشكلة الضرر فى العلاقة الزوجية • ولذا : يباشر مرة ، وتمر فترة من الوقت عليه - وهى فترة العدة - كى يراجع كل من الزوجين وضعه فى علاقته بالآخر • ثم اذا لم تنجح هذه المرة فى المعالجة للمشكل يباشر مرة ثانية ، وتمر كذلك فترة من الوقت للمراجعة • فاذا لم يقلح الطلاق الآن كعلاج فى المرتين ، يكون الأمر بعدهما : اما الى استمرار المعاشرة الزوجية بالمعروف ، أى فى غير اكراه ولا مضارة • واما الى انفصال وتسريح مصحوب بالحسنى فى المعاملة ، وبالأخص للزوجة من قبل الرجل المطلق •

وإذا انتفى الضرر فى المعاشرة الزوجية هنا بين الزوج وقربته ، فطلاقها عندئذ يكون فى غير موضعه • ويكون استعمال الزوج له استعمالا غير مرغوب فيه عند الله •

● واشتراط أهل الزوجة الجديدة : طلاق الزوجة الأولى ، كمقدمة لعودة الحياة الزوجية بين أبنتهم والزوج الى مجراها العادى ، هو اشتراط تعسفى الآن • لأنهم كانوا يعلمون - يوم وافقوا على تزويجها اياه - أن لها ضرة ، كما كانوا يعرفون جيدا : أن العلاقة بين الضرتين ليست هى العلاقة بين الصديقتين على الأقل • واذن الخلاف كان متوقعا بين الاثنتين •

وفقط هم يستغلون الآن ما يتحدث عنه الزوج : من « حب » لابنتهم فى حمله على تطليق زوجته الأولى ، دون أن يكون هناك ضرر فى المعاشرة بينهما •

واستغلال العواطف الانسانية فى انتهاك حرمة المبادئ الدينية - كمبدأ الطلاق هنا - أمر ميفوض قطعاً عند الله ، ومستكره لدى الناس •

● وقول الزوج فى سؤاله : أنه يستحيل التوفيق بين الزوجتين ، هو قول رجل مغرض ومتحيز • فهو يريد أن يجبر بهذا التعبير « رأى الدين » الى مصلحة فى حبه للزوجة الجديدة • اذ لو سلك أهل الزوجة الجديدة المسلك الاسلامى - وليس المسلك الأنانى - لأمكن التوفيق بين الزوجتين فى معاشرة زوج واحد ، وهو هذا الزوج القريب للزوجة الأولى ، والمحب للزوجة الثانية • ان الحياة الزوجية ليست حياة جنسية فقط تملأ صدر المرأة بالغيرة على الرجل • ولكنها مع ذلك - وربما قبل ذلك - حياة انسانية يمكن أن يسهم فيها كل واحد من الأطراف الثلاثة هنا ، بما يستطيع أن يسهم به ، من : تعاون على خير

الأسرة ومستقبلها ، ومودة فى العلاقة بينهم ، وحل لأزماتهم ومشاكلهم التى تجد ، وتجدد .

وكذلك لو كانت لهذا الزوج شخصية الرجل صاحب الإرادة النافذة ، لما جد خلاف بين الزوجتين أصلا . ولو جد لأمكنه معالجته فى يسر .

ان الزوج الرجل صاحب الإرادة لا يوغر صدر زوجته القديمة بإعلان حبه لزوجته الجديدة فى صورة ما ، ولا يجعل زوجته الجديدة - لو أحست بإيثارها بحبه - تتدخل بهذا الحب فى معاملة زوجته القديمة ، فضلا عن أن يتدخل به أهلها ، ويذهبوا فى تعسفهم الى حد : أن يشترطوا تطبيق تلك الزوجة التى لم يهبها الله القدرة على انجاب الأطفال ، ويضيفوا بذلك حزنا جديدا ، الى حزنها النفسى الداخلى على عدم انجابها الأولاد .

ليراقب أهل الزوجة الجديدة ، الله فى معاملتهم للزوجة القديمة خشية من الله وحده الذى لا يريد سوء لأحد : « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون » (١) .  
صدق الله العظيم .

\*\*\*

٩٠ - انى زوجة ، وأم لثلاثة اطفال ، ويقطن معى فى المنزل ابن زوجى انذى يبلغ تسعة عشر عاما ، مع انى الپس ملابس الموضة ، ويذصف كم . نهل هذا جائز ؟

● فى هذا السؤال نقطتان ، تنفصل احدهما عن الأخرى :

● الأولى فى علاقة ابن الزوج بزوجة أبيه . وهو فى هذه العلاقة يعتبر محرما لها . أى لا يجوز له أن يتزوجها بعد أبيه . فهو بمثابة ابن لها . يقول الله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ، الا ما قد سلف ( أى فى زمن الجاهلية ) انه ( أى زواج الأبناء لزوجات الآباء ) كان فاحشة ومقتسا ( أى جرما كبيرا ، وممقوتا غير مقبول ) وساء سبيلا ( أى وكان طريقا سيئا فى العلاقات ) » (٢) .

---

(١) النحل : ٤٥ .

(٢) النساء : ٢٢ .

● والنقطة الثانية ما يجوز لزوجة الأب أن تكشف عنه من بدنهما في وجوده ، وما يجوز له هو أن يرى منها .

وزوجة الأب هنا - ككل امرأة - مطلوب منها ستر جسمها الى ظهر قدميها ، عدا الوجه . لقوله تعالى في شأن الآداب العامة بين المؤمنين والمؤمنات : « ولا يبدين زينتهن ، الا ما ظهر منها » (١) . وزينة المرأة جميع بدنهما ، وليس الموضع فقط الذي تزينه الآن في عصرنا الحاضر بأدوات الزينة المختلفة . فتطلب الآية عدم ابداء أى جزء من البدن والكشف عنه ، وتستننى ما يظهر عادة منه : بحكم العمل ، والحركة في السير . وما يظهر من البدن بحكم العمل والحركة في السير هو : الوجه والقدمان .

وما يجوز لابن الزوج أن يراه من زوجة أبيه - ككل محرم لها - هو ما يسمح لها بأبدائه من بدنهما ، وهو الوجه والقدمان . لما جاء في نفس الآية من قول الله تعالى : « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ( أى أزواجهن ) أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن » . الخ (٢) . فقد ألحقت هذه الآية أبناء الأزواج بأبناء الزوجات ، في جواز الاطلاع على ما يحل للأب أن تكشف عنه من بدنهما لأبنائها .

وإذن ابن الزوج ، كابن الزوجة نفسها ، سواء في جواز رؤية ما يحل للأب أن تبديه من زينتها وبدنهما ، لابنها على سبيل الحقيقة .

● ومشكلة الزوجة السائلة في هذا السؤال تنتقل الآن من ابن الزوج ، والمحارم والأسرة الى مجال آخر ، وهو مجال « الموضة » وارتداء الملابس القصيرة . والسؤال الآن هو : هل تحكم « الموضة » قواعد السلوك والآداب العامة بين المرأة والرجل ، وبذلك تدعو الى تغيير رأى الدين واخضاع مقاييسه في هذه الآداب العامة ، الى ما تأتى به كل يوم من نماذج في ملابس المرأة ، وتغيير وجهها ، ورموش عينيها ، وصورة شعر الرأس عندها ؟ .

ان الاسلام - يوم أن طلب للمرأة في ملابسها ، أن تستر بما تلبس أجزاء بدنهما ، عدا الوجه والقدمين - نظر الى : أن كل بدنهما مصدر اغراء للرجل . ولذا عبر عن بدنهما بزینتها - « ولا يبدين زينتهن » - ، اشعارا بما ينطوى عليه من جاذبية الأنوثة ، وجمال التركيب .

(١) النور : ٣١ .

(٢) النور : ٣١ .

وموضة الملابس والتجميل للمرأة فى عصر الحضارة المادية الآن ، يوم أن دفعت المرأة الى الكشف عن الساقين وما فوق الساقين بكثير أو قليل ، والى الكشف عن الصدر الى ما دونه ، وعن الرأس وما خلف الرأس الى منتصف الظهر . . . فقلت ذلك لأنها ترى : أن موضع الجمال والاغراء فيها قد تقلص عندها وأصبح هو ما تشير اليه الأجزاء غير المكشوفة من جسمها ، مما هو فوق الركبتين ودون الصدر ، وأدنى الظهر .

والمرأة المعاصرة لها الخيار فى أن تأخذ بنظرة الاسلام فترى معه : أن بدنها - لا فرق فيه بين موضع وآخر - يعبر كله عن جمال الأنوثة ، أو تأخذ بنظرة « الموضة » فترى معها : أن اغراءها قد تقلص وانحسر ، بحيث أصبح لا يتجاوز بضع أماكن معينة من بدنها ، وهى ما تحاول سترها بملابسها القصيرة .

ولكن ليس لها أن تمزج بين النظرتين وتجمع بينهما ، ولا أن تخضع نظرة الاسلام الى نظرة الموضة ، بدعوى التغيير والتطور . إذ ليس كل تغيير يحمل فى طياته : الحرص على كرامة الانسان ، والابقاء على سنة الطبيعة البشرية وخصائصها . إذ « موضة » الملابس للمرأة يوم أن أمعنت فى التغيير فيها بتقصيرها ، أرادت أن تعالج ما وصلت اليه المرأة فى المجتمع الصناعى المعاصر من ابتذال فى نظر الرجل . ولكنها عالجته بما زاد فيه ، وخفف من جاذبية المرأة واغرائها على العموم .

\*\*\*

٩١ - انى متزوجة من سبع سنوات ، ولم انجب ، رغم المحاولات العلاجية الكثيرة . وزوجى يحب الأولاد . وانى أتعذب من هذه الحالة ، واعتقد : انى لو تركت زوجى أستريح . فهل هذا جائز ؟ .

● اتقصد السائلة أن تترك زوجها بالخلع مثلاً ؟ ،

أم تريد أن تتركه وتتركه معه الحياة كذلك بوسيلة من وسائل الانتحار ؟

أما عن الخلع - وهو أن تغدى الزوجة نفسها بما لا يزيد عن قيمة ما أخذته من مهر ، وتتخلص بذلك من المعاشرة الكريهة للزوج - أما عن هذا الخلع : فهو ائوسيلة المشروعة للمرأة ، كالطلاق المشروع للرجل ، لفض الحياة الزوجية ، ان تضررت وكرهت معاشره الزوج . يقول الله تعالى : « . . . ولا يحل

لكم ( اى لا يحل للزواج ) : ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً ، الا ان يخافا الا  
يقيما حدود الله ، فان خفتم : الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افندت  
به « (١) » .

فألاية تحرم أصلاً : ان يسترجع الزوج شيئاً من مهر أعطاه لزوجته .  
الا فى حالة واحدة ، وهى خشية الزوجين من عدم اقامة حدود الله بينهما -  
اى خشيتهما من عدم حسن المعاشرة الزوجية بينهما - ثم ارتضت الزوجة  
ان تتنازل عن بعض المهر أو كله . عندئذ ليست هناك حرمة فى قبول الزوج  
لما تتنازل عنه الزوجة من مهرها ، وليست هناك حرمة كذلك فيما تباشره  
الزوجة فى حق نفسها من التنازل عن المهر : بعضه ، أو كله . واذا صنعت  
الزوجة ذلك انفسخ عقد زواجها ، دون الحاجة الى طلاق من الزوج ، على  
ما يروى فى الأحاديث . فيروى عن الزبير رضى الله عنه : ان ثابت بن قيس  
ابن شماس كانت عنده بنت عبد الله بن أبى بن سلول ، وكان أصدقها حديقة  
( اى أعطها فى مهرها حديقة ) فقال النبى صلى الله عليه وسلم ( اى بعد  
ان اشتكت له معاشرته ) : اتردين عليه حديقته ، التى أعطاك ؟ قالت : نعم ،  
وزيادة . فقال عليه السلام : أما الزيادة فلا ، ولكن حديقته ؟ قالت : نعم .  
فأخذها ، له ( اى فتسلمها الرسول عليه السلام منها ، ليسلمها بالتالى الى  
زوجها ) وخلقى سبيلها ( اى تركها تعود الى بيت أهلها ، دون حاجة الى  
طلاق من زوجها ) . فلما بلغ ذلك ثابت بن قيس ( وهو زوجها ) قال : قد  
قبلت قضاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ( اى بالتفريق بينهما ) ، .

وأما عن ترك الحياة كلية بسبب عدم انجاب الأولاد - أو بأى سبب  
آخر - ثم للاحساس بأثنا معنوية . لعدم استطاعتها تحقيق رغبة زوجها فى  
الأولاد . . فهذا يعد كفراً بالله ، وعدم ثقة فى تدبيره ، وقضائه وقدره .  
فالقُرآن الكريم يذكر فى قصة يعقوب عليه السلام الى بنيه ، قوله لهم :  
« يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، ولا تياسوا من روح الله ، انه  
لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون » (٢) . ولا شك ان الانتحار صورة  
من صور اليأس ، وعدم الأمل فى الله جلّت قدرته .

ان الاسلام لا يريد للانسان أن يقطع على نفسه سبيل الحياة ، بسبب  
ازمة من الأزمت . انه لا يريد له التشاؤم ولا العيش فى ظلام الخوف والقلق ،  
انه يريد له أن يعيش دائماً فى أمل ، وفى أمل فى الله وحده . وفيما يقرره

(١) البقرة : ٢٢٩ .

(٢) يوسف : ٨٧ .

الله لرسوله الكريم . محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - فى قوله :  
« فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا » (١) . يريد له ، كانسان ، ان  
ينظر الى الحياة وقت الشدائد بنظرة المتفائل ، والواثق بأن الامر لا يبقى  
على حالة واحدة . وأنه لايد أن يتغير الى نقيضه يوما ما .

● ثم بعد هذا وذاك : الزوج هو استئول عن هذا التعذيب ، وببده  
وحده تفريج الكرب ، وحل الأزمة . انه المستئول لأنه - فيما يبدو - يكثر  
الحديث عن رغبته فى الأولاد ويلج فى التاكيد عليها ، علما بأن زوجته  
لا تنجب الأولاد وقد حاولت عن طريق الطب مرارا فى أن تعالج عقمها ولم  
تنجح . وان ببده تفريج أزمتهما بكلمة واحدة . وهى أن يقول لها فقط : انها  
عنده أئمن من الأولاد وفوق كل متعة أخرى عداها . وبذلك ينقذ حياتها ،  
وحياتهما الزوجية معا .

\* \* \*

٩٢ - انى زوجة لرجل ثرى من أربعين عاما . وقد مرضت ، ويحتاج علاجى  
الى عشرين جنيها شهريا . فهل يلزم الزوج الانفاق على علاجى ؟

● الانفاق على الزوجة من قبل زوجها فى المطعم والملبس ، واجب  
عليه شرعا ، بدون خلاف . فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قولها : « ان  
هندا قالت يا رسول الله ! : ان أبا سفيان رجل شحيح ، وليس يعطينى ما  
يكفينى وولدى ، الا ما أخذت منه وهو لا يعلم . فقال : خذى ما يكفيك وولدك  
بالمعروف » . فأذن الرسول عليه السلام لزوجة يشح ويقتر عليها زوجها فى  
الانفاق عليها وعلى ابنه منها . بأن تأخذ من ماله ما يكفيها ويكفى ولدها  
حسب المعروف الجارى ، دون الحاجة الى اذنه . . . يدل دلالة واضحة على  
حقها قبل زوجها فى نفقتها ومعيشتها .

وحقها فى النفقة على زوجها يدخل فى مماثلة الحقوق والواجبات  
بين الزوجين ، فيما يقول الله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (٢) .

(١) الشرح : ٥ - ٦ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

• أما ما تسأل عنه السيدة هنا من اتفاق الزوج على علاج زوجته ، فان علاج الزوجة لا يدخل فى هذه الحقوق والواجبات الماثلة • على معنى : أنه ليس حقا للزوجة على زوجها ، وبالتالي ليس واجبا على الزوج تجاه زوجته فى مقابل حق له عليها • وبعبارة أوضح : لو التجأت الزوجة الى القضاء فى الحكم لها على زوجها بنفقة العلاج ، فانه لا يستجيب لها فى ذلك ، كما يستجيب لها فى طلبها الحكم بنفقة المأكل ، والملبس ، والسكنى •

ولكن الآية التى تحدثت هنا عن الحقوق والواجبات المتكافئة للزوجين، وهى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » • ذكرت عقب هذه الماثلة : « وللرجال عليهن درجة » (١) • ومعنى أن للرجال الأزواج على النساء الزوجات درجة هو : أن الأزواج يجب أن لا تبقى معاملتهم لأزواجهن فى حدود الماثلة بين الحقوق والواجبات • وانما يجب أن ترتفع فوق هذه الماثلة ، بحيث يكون للرجل فضل وزيادة عن هذه الماثلة فى معاملته لزوجته •

ومعنى ذلك أيضا : أن الرجل لا يقف بمعاملته لزوجته فى حدود الماثلة • وانما ينبغى أن يكون ذا فضل ، هو فضل المحسن والانسان الكريم المهذب • فالعلاقة بين الزوج وزوجته ليست علاقة مبادلة حرفية ، مثلا بمثله • وانما هى علاقة انسانية فى مستواها الرفيع • يجب أن يتميز الرجل فيها : ليس بممارسة العضلات ، أو بممارسة الاستضعاف ، أو بالخشونة والقسوة فى المعاملة ، وانما بالاحسان • وهو التهذيب الانسانى فى أرقى مستوى له •

واذن : درجة الرجل على المرأة فى العلاقة الزوجية ، هى منزلة أدبية ، تستتبع سلوكا انسانيا كريما يفوق ما تستطيعه المرأة •

وعن هذه الدرجة والمنزلة الأدبية يجب وجوبا أدبيا - وليس وجوبا قضائيا - على الرجل أنشرى فى هذا السؤال أن يتحمل نفقة العلاج لزوجته • وعليه أن يذكر مدة الأربعين عاما التى عاشتها زوجته معه رفيقة له ، تشاركه سراءه وضراءه فيها • يروى أبو هريرة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال : « دينار أنفقته فى سبيل الله ( أى فى الخير العام ) ، ودينار أنفقته فى رقبة ( أى فى تحرير انسان من رق فردى أو جماعى ) ودينار تصدقت به على مسكين ( أى أعطيته لصاحب حاجة ، لا يستطيع جهده فى العمل أن يغطى

(١) البقرة : ٢٢٨ •

احتياجاته أو احتياجات أسرته وأولاده ) ودينار أنفقته على أهلك ( أى على زوجتك ) أعظمها أجرا ( أى عند الله ) الذى أنفقته على أهلك ، • وبذلك ما ينفقه الزوج على زوجته قريبا مفضله عند الله على سنوف الخير كلها •

\*\*\*

٩٣ - هل المبالغة فى المهر مطلوبة شرعا ؟ لأن عندنا يبالمغ الآباء فى دهور بناتهم • فلا يقل المهر عن خمسيناية جنيه يأخذه والد البنت لنفسه • وعلى الزوج مصاريف العرس : من ذبائح وغيرها • فهل هذا جائز ؟ •

● الصداق - أو المهر - فى الاسلام ليس ثمنا تشتري به المرأة • فالمرأة لها كرامتها ، ولها حريتها ، كالرجل سواء بسواء • ثم لها استقلالها فى التصرف فى مالها ، وفى عقيدتها بعدد الزواج ، على نحو ما كان لها قبله • والزواج لا يقيد مشيئتها الا فى حدود العلاقة الزوجية • وهى علاقة متكافئة فى الحقوق والواجبات : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (١) •

وانما المهر تعبير من الرجل عن رغبته فى الزواج بالمرأة • أى هو تعبير عن طلبها ، وعن سعيه فى سبيل الارتباط بها كزوجة •

وطلب المهر ، كتعبير من جانب الرجل عن رغبته فى الزواج - مع أن الرغبة فى الزواج قدر مشترك بين الرجل والمرأة - للمحافظة على حياة المرأة وكرامتها فى أنوثتها ، وتوفير الاحساس لديها بأنها : مطلوبة ، وليست طالبة • اذ طبيعة المرأة أن تتمتع وهى راغبة ، وتتأخر الى الوراء وهى تريد : أن تقبل نحو الأمام • والرجل يغيره منها ذلك ويجذبه نحوها •

ولو حملت على أن تكشف عن حقيقة رغبته فى علاقتها بالرجل فتدفع هى اليه المهر مثلا - دونه - وتعبّر بذلك صراحة عن طلبها اياه ، لأصبحت مبتذلة فى نظره ، ولخف وزنها فى نفسه ، وربما ينصرف عنها فى سن مبكرة من حياته • وكثرة الحاج المرأة فى الحضارة المعاصرة ، فى عرض نفسها على الرجل - باسم حرية المرأة ، أو بأى اسم آخر - كان من الأسباب الرئيسية فى قلة رغبة الرجل فى المجتمعات الحضارية المعاصرة منذ الأربعين تقريبا ، فى الاتصال بالمرأة ، وميله الى مباشرة اللواط ، ثم انصراف المرأة بدورها الى

(١) البقرة : ٢٢٨ •

الاتصال بالمرأة مثلها كذلك . ولقوة هذا الميل الانحرافى فى العلاقة الجنسية بين النوعين - فى ظل ما يسمى بالحضارة اليوم - أصبحت الاستجابة الآن الى هذا الميل أمرا مشروعا فى مجتمعات هذه الحضارة .

● وإذا كانت نظرة الاسلام الى المهر على أنه تعبير فقط من جانب الرجل عن طلب المرأة فى علاقة زوجية - وليس ثمنا لسلعة - فإنه يكفى من قيمة المهر حينئذ ما يدل فحسب على أنه الرجل ساع لطلبها . ويروى فى هذا الشأن عن عائشة رضى الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « أن أعظم النكاح ( أى الزواج ) بركة ، أيسره مئونة » . وفى رواية أخرى عنها : « أخف النساء صداقا ( أى مهرا ) أعظمن بركة » . وعن عقبه بن عامر ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « خير الصداق أيسره » .

قالرسول عليه السلام فيما يروى عنه هنا يدعو الى التخفيف من المهر ومن مئونة الزواج عامة . وهو إذ يدعو الى هذا التخفيف لا يريد أن يثقل على الراغبين فى الزواج . طالما أن الهدف من المهر كتعبير عن الرغبة فى الزواج ، يتحقق بالأقل منه .

● ولكن تطبيق النظرة الاسلامية الى المهر ، على ممر الزمن على المجتمعات الاسلامية ، وبسبب ما وجد فيها سابقا على الاسلام من عادات وتقاليد ، حول المهر الى ثمن ، والمرأة الى سلعة . وأصبحت تقييم المرأة بشرفها ، ونسبها ، ووضعها الاجتماعى . ثم أن سوء استغلال الطلاق من قبل الزوج فى فصم عرى الزوجية دفع اولياء المرأة الى المبالغة فى المهر كوسيلة لحمل الزوج على التفكير مرات قبل تطلق زوجته . ومن هنا جاءت المغالاة فى المهور . وتبع المغالاة فى المهور حب الظهور فى الأفراح ، والخضوع لتقليد الأسر بعضها بعضا .

وهكذا : لم تبق نظرة الاسلام السليمة الى المهر على سلامتها ووضوحها فى الهدف . وشوهتها التقاليد ، والميل الى الظهور ، والتسرع فى مباشرة الطلاق . واتباع ما جاء فى الحديث الشريف سابقا : « خير الصداق أيسره » - اتباع للاسلام . وما عدا ذلك ليس من الاسلام . ولكن جوازه أو حرمة يتبع ما فيه من ضرر لأحد الطرفين فى عقد الزوجية .

\*\*\*



بين أعضاء الأسرة بعضهم مع بعض .. بين الجار وجاره .. بين الصديق  
وصديقه . وهكذا ..

ويصف : أن بعض هذه الظنون تدخل فى اطار الائم والمعصية .. اى  
تدخل فى اطار المحرم والكريه الذى تترتب عليه مفاسد . وهى سوء العلاقات  
على الأقل بين الأفراد ، ان لم تكن الشحناء والبغضاء فيما بينهم .

● ومع سوء مسلك الحماة مع زوجة الابن هنا ، فان الزوجة نفسها ماكان  
ينبغى لها أن تتجنبها وتخاصمها ، كما تقول هى فى سؤالها . ما كان ينبغى لها  
ذلك ، كطريق لمعالجة الموقف القبيح منها . لأن التجنب فى الحديث أو فى  
المعاملة لانسان هو عضو فى أسرة معه ومشارك له فى السكن ، من شأنه : أن  
يزيد فى توتر العلاقات ، كما هو الحال هنا بين الحماة وزوجة ابنها . كما من  
شأنه أن يجعل الجو الأسرى عامة جو شتاء . أو جو مرارة فى حياة كل فرد فى  
الأسرة .

ومن أجل ذلك أثر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله : « لا يحل  
لمسلم ( اى لا ينبغى لمسلم ) أن يهجر أخاه ، فوق ثلاث ليال ، يلتقيان : فيعرض  
هذا ، ويعرض هذا ( اى ينصرف كل منهما عن الآخر : لا يحدثه ، ويدير له  
ظهره ) .. وخيرهما : الذى يبدأ بالسلام ( اى وخير الاثنتين المتخاصمين هو  
الذى يبدأ الآخر بالتحية ، انتهاء للخصومة ، واستئنافا للحياة العادية  
بينهما ) ، ،

● واذا كانت كل من الحماة والزوجة ملومة للموقف الذى ينسب الى  
كل واحدة تجاه الأخرى ، فان الزوج ملوم قبلهما . اذ كان يجب عليه : أن  
يحسم أمر العلاقة بين الاثنتين ، قبل أن يصل الى ما وصل اليه الآن . وحسم  
ذلك باعلان ثقته فى زوجته أولا . وبذلك يضع حدا لظنون الأم واسترسالها  
فى الهواجس النفسية . ثم بتفهم زوجته : أن عليها أن تتحمل وتصبر ، وتقابل  
ما توجهه والدته اليها بصدر رحب ، وبشئ من التسامح . ثم عليها كذلك : أن  
تتصور البواعث التى تحمل والدته على مهاجمتها . اذ من البواعث الخفية فى  
نفسها : أن الزوجة هى امرأة اجنبية خطفت منها ابنها الذى أرضعته من ثديها ،  
والذى كان الى الأمس القريب يتقلب بين يديها ، وتحنو عليه وهو يحنو عليها ،

أن وحدهما أو في حضرة الآخرين . فخفف هذا الحنو منه عليها الآن وأصبح يقدمه سرا أو علنا - لهذه الأجنبية الخاطفة ، التي هي الزوجة الآن .

كما يجب أن تعلم أن للام حقا على ابنها - ولو كانت في علاقة زوجية  
برجل آخر غير أبيه - وهو حق الاحترام ، والمعاملة بالحسنى .

● وما زال بيد الزوج أن يصنع ذلك الآن لاعادة السلام في علاقات الأسرة .  
فالتفاهم ، واللجوء الى رسالة الله في ذلك ، هو خير ما تعالج به قضية ، هي  
نفسية في جوهرها الى حد بعيد .

\*\*\*

٩٥ - جندي يقول : هل يصح لي اختيار زوجتي ، أو هذا من حق أبي ؟  
لأنه أقسم : إذا لم يطعه لا يكون ابنه ، ولا يعرفه . فماذا اصنع ؟

● إذا كان الرجل له حق فصل عرى الزوجية من زوجته بالطلاق ، وجعل  
الطلاق له ، بناء على مسؤوليته التامة في بناء أسرة الزوجية واستمرار الحياة  
بينه وزوجته وأولاده في هذه الزيجة ، أفلا يكون له حق اقامة الأسرة باختيار  
الزوجة ؟

ان الرجل له الحق التام ، والمرأة - كذلك - لها حقها الذي لا ينكر في  
اختيار الشريك في الحياة الزوجية . والرسول صلى الله عليه وسلم ألغى عقد  
الزواج بخنساء بنت خدام - بعد أن شكت له من أنه عقد عليها من أبيها ، وهي  
كارهة - لبيان حق المرأة في اختيار زوجها .

● ان الزوجية اقامة أسرة ، ومسئولية مباشرة فيها على كل من الطرفين  
في عقد الزواج . وتتضح هذه المسؤولية من قول الله تعالى : « ولهن مثل الذي  
عليهن بالمعروف » (١) . فهناك واجبات وحقوق متكافئة للزوج والزوجة ، وان  
لم تكن من نوع واحد . وهذه الواجبات والحقوق لا تؤدي الا اذا كان هناك  
شعور واع وتام بالمسئولية الزوجية أولا ، والا اذا كانت هناك أيضا استطاعة

---

(١) البقرة : ٢٢٨ .

لدى الطرفين مباشرة هذه المسئولية ، وتنفيذ ما يجب على كل طرف للطرف الآخر .

فهل الوالد هو الذى سيباشر ما يجب على الرجل لزوجته فى الحياة الزوجية ؟ . ان استطاع الوالد أن يساعد ابنه فى المهر ، أو فى وليمة العرس ، أو فى تحمل جزء من النفقة فى بدء الحياة الزوجية ، فإن المجال الذى يساعد فيه الوالد أئند هو على هامش الحياة الزوجية ، وربما فى مجال كونته العادة فى المجتمع ، ولكن لم يقترحه الاسلام .

اذ ما يجرى فى مجتمعاتنا الاسلامية اليوم هو رصيد من التراث الذى ساهمت فيه عادات وتقاليد ، بجانب الاسلام ، وربما هذه العادات والتقاليد هى مناوئة أو بعيدة الصلة بالاسلام :

ان المبالغة فى المهور ، وفى الأفراح والساعات الملاح ،

وفىما يسمى : تجهيز البنت ،

وفى تحكم الوالد أو الوالدة فى اختيار الزوجة للولد ، أو فى اختيار الزوج للبنت . . . .

كل هذه - وأمثالها - من التقاليد التى تناوىء الاسلام :

اذ الاسلام لا ينظر الى المهر على أنه ثمن ، وأن المرأة سلعة يرتفع وينخفض ثمنها . بل ينظر اليه على أنه : رمز فقط وتعبير عن رغبة الزوج فى الزواج بمن يخطبها . فالمهر تجسيد لهذه الرغبة النفسية لدى الزوج . وجعلها الاسلام من جانب الزوج ، ليكون هو البادىء بالتعبير عن رغبة المشاركة بين الاثنين فى الحياة الزوجية . وبهذا يحفظ الاسلام على المرأة حياءها من جانب ، وكرامتها كأنتى من جانب آخر . والاسلام جاء للمحافظة على القيم الانسانية . فاذا اتى عصر تطلب فيه المرأة الرجل فى صراحة - بل وربما فى الحاح - فإن الاسلام لا يساعد مثل هذه المرأة على الاحتفاظ بالقيم الانسانية لأنها الآن اختطت لنفسها طريق العرض المكشوف فى الحياة ، فيما يتعلق بعلاقتها الجنسية بالطرف الآخر .

والاسلام لا يعرف ارماق أسرة الزوجة ، ولا يعرف حملها على ان تستدين بما ينغص عليها أو يخرجها فى الحياة المقبلة لبضع سنين ، أو يحول

بينها والانفاق على بعض ضرورات الحياة فيها ، كتعليم بعض الاولاد ، او  
لمريض بعض المرضى فى اعضائها ، من أجل تجهيز بيت الزوجية من جانب  
البنات ، واعداد غرف : النوم ، والأكل ، والجلوس للزوجية السعيدة !

والاسلام لا يعرف تحكم الوالد أو الوالدة فى اختيار الزوج أو الزوجة .  
ولكنه يعرف عاطفة الأبوة وعاطفة الأمومة نحو الولد أو البنت ، ويعرف  
حرصهما على مصلحة أولادهما ، ويثق بمصدر هذا الحرص لديهما . ومن أجل  
ذلك لا يعيب عليهما المشاركة بالرأى السليم فى اختيار الزوج أو الزوجة . بل  
ربما يطلب هذا الرأى من ولى الأمر لابنته اذا كانت ظروفها تتطلب الرشد  
والتأنى فى الرأى . وانما يعيب فقط الغلو منهما ، والتحكم فى ذلك . على  
نحو ما يفعل والد الجندي السائل هنا ، معه .

والرأى هو : للرجل الحق المطلق فى الاختيار . وعليه أن ينفذه . وفى  
الوقت نفسه يجب أن يستخدم اللياقة والحسنى فى حمل والده على أن يكون  
معه ، ابقاء على المودة فى الأسرة ، ومحافظة على الاحسان فى المعاملة  
للوالدين .

\* \* \*

٩٦ - واحد يقول : عندى ابن فى الشهادة الاعدادية ، انفق عليه فى سخاء .  
ولكنه تعامل مع بعض التجار فى البلد ، وصار مدينا لهم بمبلغ ثلاثين  
جنيها ، ودفعته . ولكنى غضبت من الولد ، واقسمت على المصحف :  
أن لا أصرف عليه . غير انه بسبب الامتحان احضرت له مدرسين ،  
وانفقت عليه . فما الحكم ( فى اليمين ) ؟

● من صيغة السؤال ، ومجرى حال الولد فيه ، يتضح : أن السائل -  
وهو الوالد - قد بيت العزم ، وعقد النية على أن لا يصرف على ولده ، بعد  
أن سدد عنه ديونه التى استدانها من أحد التجار ، كوسيلة لتهديبه ، والحيلولة  
بينه والاستدانة من جديد .

فاذا أقسم على المصحف وحلف بالله فانه يكون قد قصد الى اليمين ، وعقد  
عليها النية . وهنا اذا رجع عما حلف عليه - كما فى حال انفاق الوالد الآن  
على الولد ، بمناسبة قرب الامتحان . بعد أن أقسم : أن لا ينفق عليه - يكون

حائثا ، اى عاصيا • وعليه : تجب كفارة اليمين ، وهى كما جاء فى قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ( وهى اليمين التى لا يقصد منها مدلولها ) ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ( اى بما قصدتم وعزمت عليه – كما هنا فى السؤال ) فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ( اى المساعدة على تحرير انسان هو مسترق بصورة ما ) فمن لم يجد : فصيام ثلاثة ايام ، ذلك : كفارة ايمانكم اذا حلفتم » ( ١ ) •

• والآية عقبته – بعد أن ذكرت كفارة اليمين وصورها هنا – بقول الله تعالى : « واحفظوا ايمانكم » •• كى توضح : أن الذى يليق بالانسان وبتهذيبه : أن لا يلجأ الى اليمين • فاللجوء الى اليمين يدل على ضعف من يقسم • وليست اليمين هى الوسيلة التى تقوى شخصية الضعيف • وانما قبل اليمين يجب على من يلجأ اليها – قبل أن يباشرها – أن يفكر فى الأمر ويتروى فيه ثم يتخير أتبع الطرق لتحقيق ما وصل اليه تفكيره وترويه فيه • فاذا تيقن فى حاضره : أنه لا يستطيع الوصول الى ما يتبغى ، أو يشق عليه ذلك ، فليأخذ الأمر بالتدريج ، وابتعد كلية عن حرج اليمين •

وأىضا اذ تعقب الآية هنا بقول الله : « واحفظوا ايمانكم » •• تريد كذلك أن يبتعد المؤمنون بالله عن اقحام اسمه – جل شانه – فيما لا يملكون الأمر فيه نهائيا ، ويعرضونه بذلك لما لا يوفر له جلاله وعظمته ، كما يجب أن يتوفر له •

• على أن السائل الذى أقسم على المصحف فى هذا السؤال يجوز : أن يكون قد استهدف من تسمه تهديد ابنه ، حتى لا يفعل مثل ما فعل من الاستدانة • ويجوز أيضا : أن يكون مراده من عدم الانفاق عليه ، ما لا يتصل بضرورات حياته • وعندئذ يكون فى الحالين غير حائث ، بدفع مكافأة المدرسين الذين قدموا لمساعدة ابنه •

فاليمين التى يهدد بها هو لغو • لأن التهديد لا ينبغى أن يكون هدفا للقسم بالله •

والانفاق على مساعدة التلميذ ، كثيرا ما يعتبر الآن ضرورة فى حياته •

❶ وأخيرا : ان ما يقوله السائل فى سؤاله من انه : « أنفق على ولده بسخاء » . . يشير الى أن الولد مدلل ، وأن الوالد ذو عاطفة حسنة بالنسبة له . القرآن الكريم عندما يقول : « واعلموا : انما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » (١) . لا يريد فحسب أن يذكر : أن الأموال والأولاد فى الدنيا مجال اختبار وتجربة فى الحياة لايمان المؤمن فى مواجهة التضحية فى سبيل الله بالمال والنفس . وانما مع ذلك يشير أيضا : الى أن افتتان الآباء بالأولاد قد يؤدى من جانب آخر الى فساد الأولاد أنفسهم . لأن العاطفة اللامحدودة من الآباء تحول دون تنشئة الأولاد تنشئة مهذبة مستقيمة .

ويحسن بالسائل فى هذا السؤال أخيرا : أن يقيد عاطفته نحو ابنه بمصلحة الولد ذاته قبل الاستمتاع ببنوته له . وأن يرى فى الدين فى عبادته ورساياه خير طريق لتربيته ، ان أراد له الخير فى حياته . فليس هناك بديل عن الدين فى حياة الانسان مهما قيل فى جو الحياة المادية وأهدافها .

\*\*\*

# محتويات الكتاب

## الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
من ٣ الى	مقدمة الطبعة الثانية . . . . .
٧	تقديم الطبعة الأولى . . . . .
١١ - ٩١	الفصل الأول : فى دائرة الألوهية والواجبات الدينية
٩٣ - ١٧٧	الفصل الثانى : فى الأسرة . . . . .